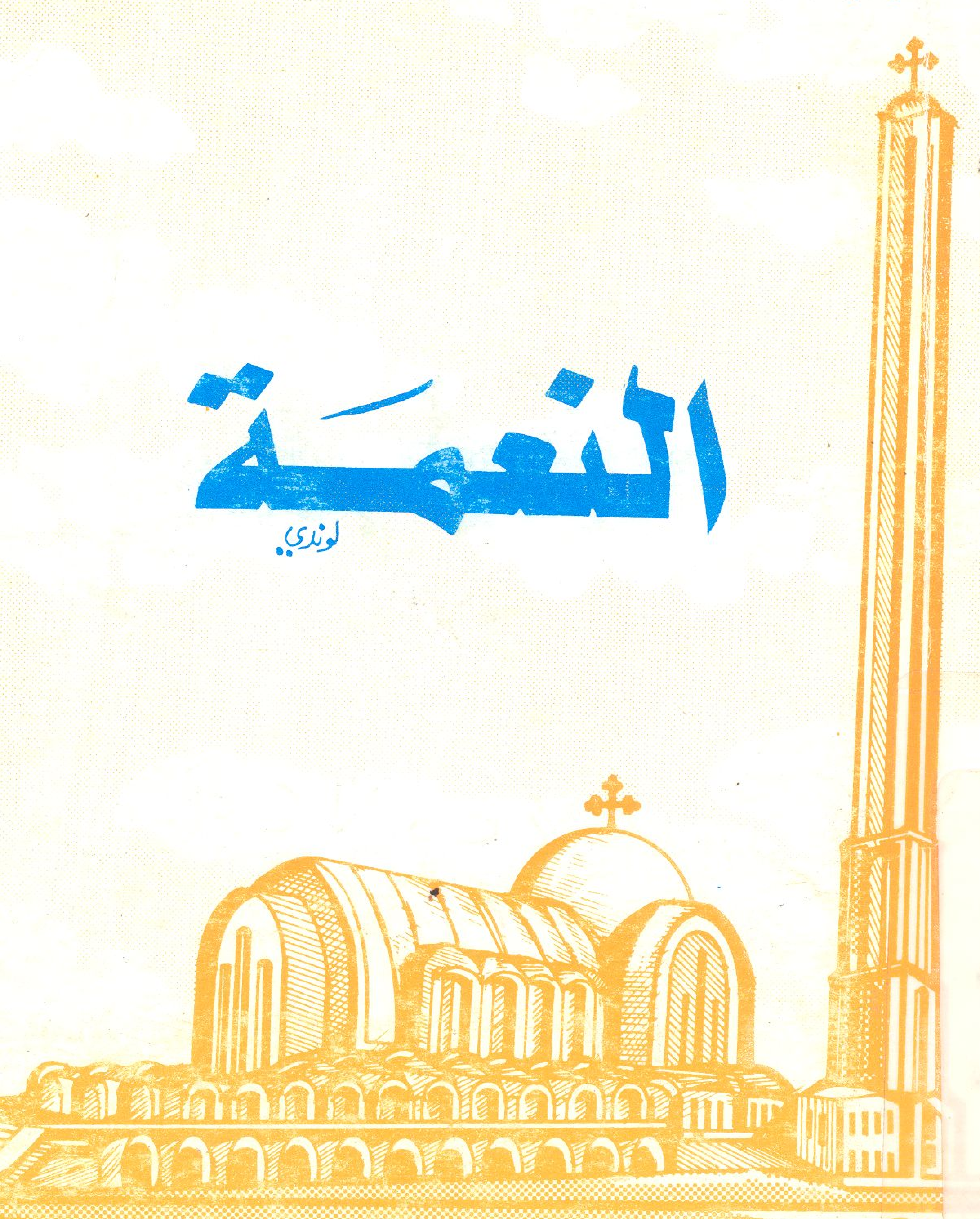
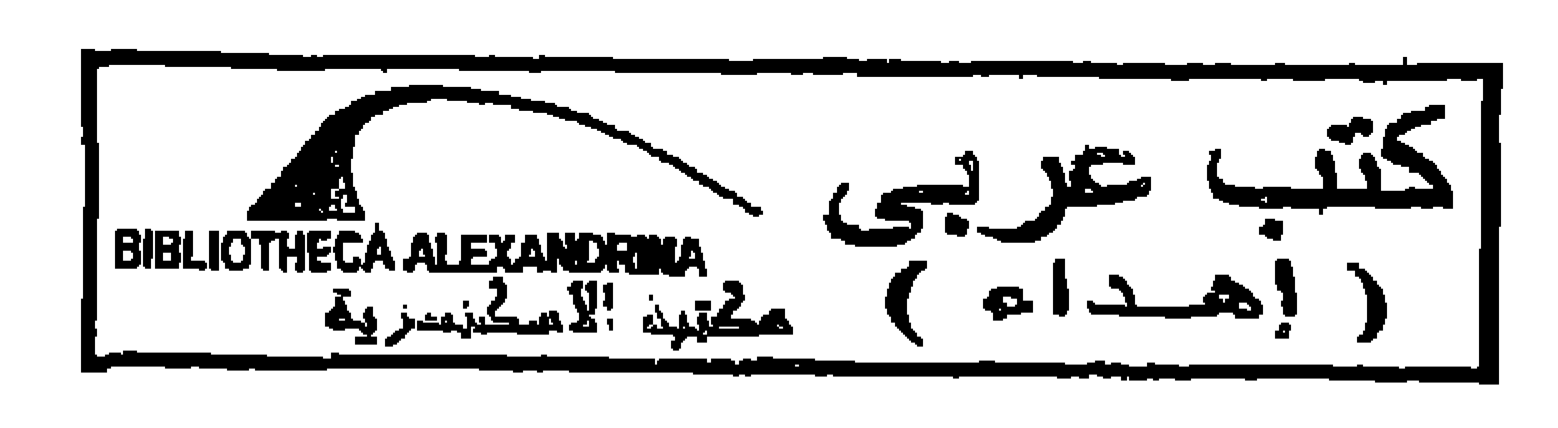
البابا شنوده الثالث

النعمة





كتب عربى
(إهـداء)
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية
رقم التسجيل

البابا شنوده الثالث



GRACE

By H. H. Pope Shenouda III

1st Print

May 1997

Cairo

الطبعة الأولى

مايو ١٩٩٧

القاهرة

الكتاب : النعمة .

المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث .

الناشر : الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس .

الطبعة : الأولى مايو ١٩٩٧م.

المطبعة : الأنبا رويس الأوفست - العباسية - القاهرة .

رقم الأيداع بدار الكتب :١٩٩٧/٥٢٦٢.

I.S.B.N 977 - 5345 - 39 -1



قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة الكاتب

لما تطرف البعض فى مفهوم النعمة، بحيث أغفلوا الجهاد والعمل البشرى تماماً، لذلك شعر بالحرج فى الحديث عن النعمة كثير من الوعاظ والكتاب الأقباط .

ولهذا وجدنا من اللازم أن نوضح هذا الموضوع .

بحيث لا يخشى أحد من وعاظنا من الحديث عن النعمة .

وهكذا ألقينا كثيراً من العظات عن النعمة فى الكاتدرائية الكبرى فى سنة ١٩٧٥ وهى مسجلة صوتياً .

وأيضاً القينا محاضرات عن النعمة فى مادة اللاهوت المقارن لطلبة الإكليريكية وهى أيضاً مسجلة صوتياً .

وكنا قد نشرنا فصلاً عن (الجهاد والنعمة) فى كتابنا عن [الخلاص فى المفهوم الأرثوذكسى] الذى صدر سنة ١٩٦٧م (منذ ثلاثين عاماً). وأعيدت طبعته عدة مرات .

والنعمة موضوع قديم كان مجالاً للحوار اللاهوتى بين القديس أوغسطينوس والبيلاجيين، أصدر فيه عدة مقالات .

وقد جمعت مقالاته ضمن مجلد كبير صدر فى مجموعة كتابات الآباء (عن آباء نيقية وما بعد نيقية) تحت عنوان :

St. Augustine : Anti Pelagianism

منها مقالة عن النعمة، وأخرى عن حرية الإرادة .. إلخ .

وفى هذا الكتاب نقدم تسعة أبواب :

نتحدث فيها عن : ما هى النعمة ؟ وما عملها؟ وما مستويات هذا العمل؟ وأنواع النعمة، وبخاصة الحافظة والمعطية. وكيف أن النعمة للكل، وأحياناً تأتينا دون أن نطلب. كما تحدثنا عن نعمة الدعوة . وتعرضنا لمدى تجاوب الإنسان مع عمل النعمة بالقبول أوالرفض. ثم تحدثنا عن تخلى النعمة . وختمنا الموضوع بالباب التاسع عن (الناموس والنعمة) .

والكتاب بين يديك أيها القارئ العزيز بابوابه التسعة .

والنعمة موضوع اهتم به القديس بولس الرسول كثيراً .

حتى جعل عبارة النعمة فى مقدمة رسائله، وفى خاتمة الرسائل أيضاً . كما ذكر القديس بولس الرسول النعمة العاملة معه والنعمة

المُعطاة له .. [أنظر الباب الأول ص ١٠، ١١. والباب التاسع ص ٨٩، ٩٠] .

والكنيسة دائماً تذكر النعمة فى البركة التى تختم بها اجتماعاتها .

فنقول "محبة الله الآب، ونعمة ربنا يسوع المسيح ، وشركة وموهبة الروح القدس، تكون مع جميعكم" . مقتبسة ما ذكره القديس بولس الرسول فى (٢كو١٣: ١٤) ...

ونذكر كلمة النعمة أيضاً فى القداس الإلهى فى أكثر من موضع، وبخاصة فى مقدمة القداس الغريغورى فى لحن (إى أغابى..) .

ونحن دائماً نبدأ خطاباتنا بعبارة "نعمة وسلام .." .

وقد وردت أيضاً عبارة النعمة فى صلوات الأجبية :

كما نقول للرب فى تحليل الساعة الثالثة "نشكرك لأنك أقمتنا للصلاة فى هذه الساعة المقدسة، التى فيه أفضت نعمة روحك القدوس بغنى على تلاميذك خواصك القديسين" إلى أن نقول "ارسل علينا نعمة روحك القدوس، وطهرنا من كل دنس الجسد والروح" .

وفى إنجيل باكر، نرتل ما ورد فى إنجيل يوحنا "لأن الناموس

بموسى أعطى، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" !! ومن ملئه نحن جميعنا أخذنا ، ونعمة فوق نعمة" (يو ١: ١٦، ١٧) .

ويعوزنا الوقت إن تحدثنا عن كل ما ورد عن النعمة فى طقوس كنيستنا ...

فليكن هذا الكتاب مجرد مقدمة للحديث عن النعمة .

نمجد فيه عمل النعمة، ونحذر من التطرف فى الحديث عن ذلك. لأن العمل الروحى لا يكون إلا بمشاركة إرادة الإنسان مع عمل النعمة فيه، أو عمل النعمة من أجله ...

وليس عمل النعمة مدعاة للتكاسل والتهاون .

ختاماً أترككم إلى نعمة الله تحفظكم وتعينكم .. وتعلمكم كيف تتجاوبون معها وتشتركون معها فى العمل ...

أبريل ١٩٩٧ **البابا شنوده الثالث**


الباب الأول
النعمة
ما هى؟
وما عملها؟
هى للكل

ما هى النعمة ؟

النعمة هى معونة إلهية، هى عطية مجانية يهبها الله للإنسان، يسند بها إرادته الضعيفة وطبيعته المائلة، واحتياجه الدائم .

كل ما ينعم به الله على الإنسان هو عمل النعمة .

وقد تكررت عبارة النعمة كثيراً فى رسائل القديس بولس الرسول: فى بدايتها أو نهايتها أو فى كلتيهما ...

فيبدأ رسالته الأولى إلى كورنثوس بعبارة "نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح معكم" (اكو١٦: ٢٣) . وينهيها بعبارة "نعمة الرب يسوع المسيح معكم" (اكو١٦: ٢٣) . وبنفس عبارته يبدأ رسالته الثانية (٢كو١: ٢) . وينهيها بعبارة "نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله، وشركة الروح القدس مع جميعكم" (٢كو١٣: ١٤) .

ويبدأ رسالته إلى غلاطية بعبارة "نعمة لكم وسلام، من الله الآب، ومن ربنا يسوع المسيح" (غل١: ٣) . وينهيها بعبارة "نعمة

ربنا يسوع المسيح مع روحكم أيها الأخوة ، آمين" (غل٦: ١٨(.
وبنفس البداية ابتدأ رسالته إلى أفسس. وأنهاها بعبارة "النعمة مع جميع الذين يحبون ربنا يسوع المسيح، فى عدم فساد. آمين" (أف٦: ٢٤) .

وهكذا مع باقى الرسائل . مما يدل على أهمية النعمة .

✠ ✠ ✠

النعمة عملت لأجل البشرية قبل وجودهم . بالنعمة خلقهم الله. لأنه أنعم على غير الموجود بنعمة الوجود .

فمن فيض نعمته صرنا موجودين . إنها النعمة الخالقة .

✠ ✠ ✠

ومن عمل النعمة أيضاً رعاية الله الإنسان . لأنه لو تخلت نعمة الله عن الكون لحظة واحدة، لهلك فيها الكون. إن الله ممسك بالكون، خافظاً له، كضابط للكل، بنعمته الحافظة.

✠ ✠ ✠

وكما تظهر نعمة الله فى الخلق وفى الحفظ ، تظهر فى الدعوة وهناك أشخاص دعتهم نعمة الله ، قبل أن يولدوا ...

مثل بولس الرسول الذى قال "لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته.." (غل١: ١٥) . ومثل ارمياء النبى الذى قال له الرب "قبلما صورتك فى البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم

قدستك ، جعلتك نبياً للشعوب" (أر ١: ٥)، ومثل يوحنا الذى كان "من بطن أمه ممتلئاً من الروح القدس" (لو ١: ١٥) .، ومثل كثيرين آخرين .

هؤلاء الذى سبق فعرفهم، وسبق فعينهم" (رو٨: ٢٩) مثل يعقوب أبى الآباء الذى اختاره الربّ قبل مولده" (رو٩) . وقد قال الرب يسوع لتلاميذه "لستم أنتم الذين اخترتمونى، بل أنا الذى اخترتكم.." (يو١٥: ١٦) .

✠ ✠ ✠

إذن الدعوة هى عمل من أعمال النعمة .

غير أن الدعوة إلى الخدمة هى لأشخاص معينين من الرب .

أما الدعوة إلى الخلاص فهى لجميع الناس .

لهذا فإننا فى قطعة (ارحمنا يا الله ثم ارحمنا) فى آخر صلوات الساعات نقول عن الرب "الداعى الكل إلى الخلاص من أجل الموعد بالخيرات المنتظرة". إنه الله الذى "يريد أن الجميع يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون" (١تى٢: ٤) .

إن الله يدعو كل أحد لكى يخلص . جاء ليخلص العالم كله . يحمل خطايا العالم كله (يو١: ١٩) "جاء يطلب ويخلص ما قد هلك" (لو١٩: ١٠). فالنعمة إذن تعمل فى الكل ومع الكل، لأجل خلاصهم.

✠ ✠ ✠

النعمـة للكل

لا يمكن أن يوجد إنسان واحد على الأرض كلها - بلا إستثناء - لم تعمل فيه النعمة لأجل خلاصه .

إن الله ، عندما خرج ليلقى بذاره ، ألقاها فى كل موضع، حتى الأرض المحجرة ، والأرض المملوءة بالأشواك، قد وصلتها بذاره. إن النعمة لم تنس أحداً . مبدأ تكافؤ الفرص توافر بالنسبة إلى جميع الناس (مت١٣: ٣- ٩) .

✠ ✠ ✠

النعمة دعت لونجينوس الجندى الذى طعن المسيح بالحربة . فآمن بالرب وقال "حقاً، كان هذا ابن الله"، وآمن وانتهى أمره بأن صار شهيداً ، وتعيد له الكنيسة فى يومين.

النعمة دعت شاول الطرسوسى الذى كان مضطهداً لكنيسة الله بافرط، وظلت تنخسه بمناخس كان صعباً عليه أن يقاومها، وأخيراً استجاب لدعوة الرب وآمن واعتمد، وصار رسولاً" (أع٩) .

✠ ✠ ✠

النعمة دعت اللص على الصليب وفتحت له باب الفردوس (لو٢٣: ٤٣) .

بل إن النعمة دعت اللصين كليهما إلى الخلاص بنفس التأثير ؛

وبنفس المعجزات التى حدثت .. ولكن واحداً منهما استجاب لعمل النعمة، بينما الثانى لم يستجب ، ورفض الاستماع إلى زميله (لو٢٣: ٣٩- ٤٢) .

✠ ✠ ✠

النعمة لا تترك أحداً فى الوجود دون أن تعمل فيه . غير أن الأمر يتوقف على مدى استجابة الإنسان.

النعمة واقفة على الباب تقرع . غير أن هناك من يفتح لها، فتدخل (رؤ٣: ٢٠) . والبعض قد لا يشاء أن يفتح . وبكامل إرادته يضيع الفرصة، ولا يستفيد من عمل النعمة معه !

النعمة تذهب إلى مكان الجباية ، لتدعو متى العشار .

بل تدخل النعمة إلى بيت زكا رئيس العشارين . وتقول له - لما استجاب - اليوم حصل خلاص لهذا البيت" (لو١٩: ٩).

بل إن النعمة عملت حتى مع يهوذا الأسخريوطى! لذلك ندم وأرجع المال إلى رؤساء الكهنة والشيوخ، وقال "أخطأت إذ أسلمت دماً بريئاً" (مت٢٧: ٣، ٤) . ولكنه للأسف لم يكمل الطريق إلى التوبة، بل استسلم إلى اليأس. واليأس لا يتفق مع عمل النعمة. فمضى وقتل نفسه .

✠ ✠ ✠

ليست النعمة قاصرة فى عملها على الأبرار . بل إنها تعمل

أيضاً فى الخطاة وغير المؤمنين ، لهدايتهم .

فلولا عمل النعمة فى الخطاة ، ما تابوا. لأن الخاطئ يصرخ إلى الله قائلاً "توبنى فأتوب" (أر٣١: ١٨) . فتمسك النعمة برغبته وتساعده على التوبة.

كذلك لولا عمل النعمة فى غير المؤمنين ، ما آمنوا. لأنه "لا يستطيع أحد أن يقول إن المسيح رب، إلا بالروح القدس" (١كو١٢: ٣) .

نعمة اله تهتم بالكل، ليس بالأبرار فقط، بل بالأشرار أيضاً .

"إنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين . وكان يمنح الخير حتى للملحدين الذين ينكرون وجوده. ومنهم الشيوعيون الذين تهكموا وجدفوا على الله تبارك إسمه على مدى عشرات السنوات، وكذلك الوجوديون!!

ماذا أقول أيضاً ؟ هل أجرؤ أن أقول إن الشيطان كذلك لم تتركه نعمة الله على الرغم من شروره التى لا تعدّ !!

يكفى أنه لا يزال يتمتع بنعمة البقاء حتى الآن! وبنعمة الحرية أيضاً! فلايزال يعمل. وله قوة أسد يزأر (١بط٥: ٨) ... كل هذا على الرغم من أنه يستخدم البقاء والحرية والقوة فى محاربة ملكوت الله!! ما أعجب هذا ..

وفى قصة أيوب الصديق : نرى نعمة الله تسمح أن يقف الشيطان مع أولاد الله أمام الله.. وأن يتحدث مع الله ، ويطلب طلبات ضد أيوب البار، ويتسجيب الله لطلباته ، ويسمح له أن يجرّب ذلك القديس !

ولكن الشيطان خائن لنعمة الله التى استبقته حتى الآن .

✠ ✠ ✠

ولعلنى أقول أيضاً أن نعمة الله لم يُحرم منها يهوذا .

بل اختاره الرب تلميذاً ضمن الإثنى عشر رسولاً (مت١٠) .

وأخذ مثلهم القوة التى يصنع بها العجائب (مت١٠) . وغسل الرب رجليه مع الإثنى عشر (يو١٣: ١٠، ١١). وسمح له أن يأكل معه الفصح ضمن الباقين، وأن يغمس له لقمته فى نفس الصحفة (يو١٣: ٢٦، ٢٧) .

ومن نعمته عليه أنه أنذره إنذارات كثيرة. ولكنه لم يتعظ ..

✠ ✠ ✠

النعمة إذن لجميع الناس ، بل هى للخليقة كلها ، كما أمر الرب تلاميذه قائلاً "إذهبوا إلى العالم أجمع، وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها" (مر١٦: ١٥) .

وقال لهم إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم .. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به" (مت٢٨: ١٩) .

موقف الإنسان من النعمة

النعمة عملت فى فيلكس الوالى الذى وقف أمامه بولس أسيراً . وكان لما تكلم بولس عنالبر والدينونة والتعفف ارتعد فيلكس الوالى" (أع٢٤: ٥) . ولماذا ارتعب وهو الوالى ومن يقف أمامه هو أسيره؟! لاشك أن ذلك كان من عمل النعمة فيه.

غير أن فيلكس لم يستفد من عمل النعمةن وقال للقديس بولس "اذهب الآن. ومتى حصل لى وقت استدعيك" وللأسف لم يحصل له وقت، وفاتته الفرصة !!

كذلك قد عملت النعمة فى أغريباس الملك، فقال لأسيره بولس "بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً" (أع٢٦: ٢٨) . وللأسف لم يكمل أغريباس مسيرته مع النعمة !!

وعملت النعمة فى اليهود فى يوم الخمسين ، حينما سمعوا كلمة القديس بطرس الرسول . فنخسوا فى قلوبهم ، وقالوا ماذا نفعل أيها الرجال الأخوة (أع٢: ٣٧) . "واعتمدوا وانضم فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف" (أع٢: ٤١) ..

وعملت النعمة فى فرعون أكثر من مرة ...

فقال لهما "صليا لأجلى" (خر٨: ٢٨) . وقال لهما مرة أخرى

"أخطأت هذه المرة. الرب هو البار وأنا وشعبى الأشرار. صليا إلى الرب. وكفى حدوث رعود الله والبرد.." (خر٩: ٢٧، ٢٨) .. كانت نعمة الله تحرك قلبه بالخوف والإعتراف بالخطية. ولكنه حينما كانت ترتفع الضربة عنه ، كان يرجع إلى قساوته مرة أخرى إنه تأثر بالنعمة تأثراً وقتياً ، ثم غلبته قساوته .

✠ ✠ ✠

لذلك يقول الرسول :

"إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم" (عب٣: ٢) .

إن صوت الله ، هو عمله فيكم بنعمته . لذلك لا تكن فيكم قساوة القلب مثل فرعون ، وكما فعل الشعب المتمرد فى البرية، بعد استجابتهم لعمل النعمة فيهم، وكما يفعل رافضو عمل النعمة فى كل زمان .

ولا تقبلوا النعمة إلى حين ، ثم ترفضوها فيما بعد .

كما فعل ديماس الذى كان مساعداً لبولس الرسول فى عمل الكرازة . ثم عاد فتركه "إذ أحب العالم الحاضر" (٢تى٤: ١٠) . وكما فعل كثيرون قال عنهم الرسول "كنت إذكرهم لكم مراراً. والآن أذكرهم أيضاً باكياً وهم أعداء صليب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك.." (فى٣: ١٨، ١٩) . وكما فعل أهل غلاطية الأغبياء ،

الذين بدأوا بالروح وكملوا بالجسد (غل٣: ٣) .

✠ ✠ ✠

النعمة دعت أصهار لوط للخلاص من الهلاك، فلم يستجيبوا ، وكان لوط "كمازح في أعين أصهاره" (تك١٩: ١٤) .

والنعمة قادت إمرأة لوط إلى خارج سادوم، وكان الملاك ممسكاً بيدها، ولكنها قاومت النعمة ونظرت إلى الوراء .

وهكذا هلكت المسكينة ، ولم تستفد من عمل النعمة (تك١٩: ٢٦) .

لذلك علينا أن نستجيب للنعمة ، ونشترك معها ، ونقبل عملها فينا، ولا نغلق قلوبنا، ولا نقسيها ...

✠ ✠ ✠

لأن النعمة على الرغم من عملها في الإنسان ، تتركه لحريته. إنها تشجعه ولكن لا ترغمه. نعمة المعونة لا تلغى نعمة الحرية .

النعمة لا ترغم الإنسان على فعل الخير ، لأنه لو فقد حريته ، يفقد صورته الإلهية. ولا يستحق المكافأة ، لأنه لم يفعل الخير بإرادته..

النعمة إذن تشغل قلبك بمحبة الخير ، وتقوى إرادتك على فعله، وتحثك عليه، لكنها لا ترغمك .

✠ ✠ ✠

إن الله يريدك أن تصل إليه، بكل رضى قلبك .

لذلك كان قبولك للرب ، أمراً هاماً فى الحياة الروحية .

إنه الخطوة الأولى فى طريق الخلاص ، يقول الكتاب "وأما الذين قبلوه، فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله" (يو ١: ١٢) .

إن قبولك يدل على استجابتك لعمل النعمة ...

هؤلاء الذين قبلوه ، إنما قبلوا الإيمان به وأيضاً :

قبلوا عمل النعمة فى أسرار الكنيسة المقدسة .

قبلوا عمل النعمة فى المعمودية ، فاعتمدوا جميعاً حالما آمنوا، كما حدث فى يوم الخمسين (أع٢: ٣٨) . وكما حدث مع الخصى الحبشى (أع٨: ٣٨) ، ومع كرنيليوس قائد المئة (أع١٠: ٤٧، ٤٨). وكما حدث مع سجان فيلبى (أع١٦: ٣٣) ومع ليديا بائعة الأرجوان (أع١٦: ١٥) ، ومع كل الذين آمنوا .

وكذلك قبلوا عمل النعمة . فى قبول سر المسحة المقدسة (ايو٢: ٢٠، ٢٧) وعمل الرح القدس فيهم .. وقبلوا أيضاً سر الإفخارستيا ، وسرّ الكهنوت وعمل النعمة فيه ، وسر التوبة وباقى الأسرار .

✠ ✠ ✠

إن النعمة تعمل فى أسرار الكنيسة، وتعمل أيضاً فى قيادةِ حياتك كلها .

وأنت بحريتك . من حقك أن تقبل أن ترفض . وبقبولك عمل النعمة تخلص، وكما قال القديس أوغسطينوس: "إن الله الذى خلقك بدونك، لا يشاء أن يخلصك بدونك" .

✠ ✠ ✠

كثيرون رفضوا عمل النعمة ، بل رفضوا ربنا يسوع المسيح نفسه، الذى قيل ".. وأما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" (يو ١: ١٧) . هذا الذى قيل عنه "إلى خاصته، وخاصته لم تقبله" (يو ١: ١١) . وفيما لم تقبله، لم تقبل نعمته أيضاً ...

وكان هذا فى العهد القديم أيضاً ، إذ قال الرب "أبهتى أيتها السماوات من هذا . وأقشعرى وتحيرى جداً أيتها الأرض .. لأن شعبى عمل شرين : تركونى أنا ينبوع المياه الحية، لينقروا لأنفسهم آباراً ، آباراً مشققة لا تضبط ماء" (أر ٢: ١٢، ١٣) ..

ما هذه الينابيع سوى عمل النعمة فيهم ...

✠ ✠ ✠

إن النعمة تساعد إرادة الإنسان ، دون أن تلغى إرادته ...

لسنا مثل الوجوديين ، الذين يدعون أن وجود الله يلغى وجودهم. فإرادتنا ماتزال قائمة، تقويها النعمة ، وحريتنا كاملة ، وتقرير مصائرنا هو فى أيدينا .. أما النعمة فهى مجرد مرشده ، قائده، مساعدة. لنا أن نستجيب لها أو لا نستجيب ...

وهكذا قال الرب لأورشليم ، كم مرة أردت .. ولم تريدوا" (مت٢٣: ٣٧) .

كذلك نرى فى مثل الابن الضال (لو١٥) أنه بكامل إرادته خرج من بيت أبيه . وبكامل إرادته .

حقاً إن النعمة ساعدته على الرجوع ولكن بإرادته .

ولكن سعى النعمة لخلاصنا ، ليس معناه أن نتكاسل ، أو أن نترك الله واقفاً خارج الباب يقرع دون أن نفتح له .. لأن هذا قد يعرضنا إلى فترات تتخلى فيها النعمة عنا وربما تتركنا إلى حين ، كقصة عروس النشيد التى لم تفتح لحبيبها ، وإذا بها تقول "حبيبى تحول وعبر. نفسى خرجت حينما أدبر. طلبته فما وجدته، دعوته فما أجابنى.." (نش٥: ٦) .


الباب الثانى
لماذا النعمة ؟
كيف تأتى؟
وحتى دون أن
نطلب

لماذا النعمة ؟

عندما خلق الله الإنسان ، خلقه فى حالة فائقة للطبيعة. ولكنه فقد هذا السمو، حينما سقط فى الخطية. فقد ما كان عليه من بر وبساطة وقداسة . وأصبحت طبيعته ضعيفة ، قابلة للميل وللسقوط .

هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى ، فإن الشيطان الذى يحارب الإنسان له طبيعة أقوى، لأنه كان ملاكاً، له طبيعة الملائكة "المقتدرين قوة" كما وصفهم المزمور (مز١٠٣: ٢٠). أما الإنسان فقيل عنه للرب "أنقصته قليلاً عن الملائكة" (مز٨) .

والشيطان عندما فقد بسقوطه طهارته ، لم يفقد طبعيته . فلا تزال له الطبيعة الملائكية القوية. وعنه قال القديس بطرس الرسول: "..أبليس خصمكم كأسد يزأر، يجول ملتمساً من يبتلعه هو" (١بط٥: ٨) .

قيل أيضاً عن الخطية إنها "طرحت كثيرين جرحي، وكل قتلاها

أقوياء" (أم٧: ٢٦).

✠ ✠ ✠

فإن كان عدونا الشيطان بهذا العنف، وإن كانت الخطية بهذه القوة، فإن الإنسان بطبيعته الضعيفة، لا يقوى كثيراً على الحروب العنيفة التي يشنها العدو عليه. فكان لابد له من قوة تسنده، وهى النعمة كما قال الرسول :

"حيث كثرت الخطية ، ازدادت النعمة جداً" (رو٥: ٢٠) .

أى أنه كلما ازدادات الخطية فى حروبها وعنفها، هكذا تزداد النعمة لحماية الإنسان وإنقاذه فى الحروب الروحية ,

✠ ✠ ✠

ولذلك كانت النعمة ضرورية حتمية للإنسان .

ضرورة ارتضتها الرحمة الإلهية المشفقة على الإنسان .

وأيضاً هى ضرورة اقتضاها العدل الإلهى، ليقيم توازاناً بين مقاومة الإنسان والحروب التى يتعرض لها. بحيث لا تكون الحروب التى ضده أقوى من قدرته على الصعود لها...

وبهذا فإن النعمة تحاول أن ترد الإنسان إلى رتبته الأولى، بأن تمنحه القوة التى ستند ضعف طبيعته، محافظة منها على أبديته ..

✠ ✠ ✠

ولكن لماذا لم يجعل الله هذه القوة جزءاً من طبيعتنا ، بدلاً

من احتياجنا إلى قوة من خارجنا تسندنا ؟

أقول إنه قد منحنا هذه القوة حينما خلقنا. ولكنه وضع إلى جوراها حرية الأرادة. ونحن بحرية إرادتنا فقدنا تلك القوة بسقوطنا. فجدّد الله طبيعتنا، وفى نفس الوقت ترك لنا حرية الإرادة.

إن الله لم يرد أن يجعلنا مسيرين نحو الخير والبر، وإلا ما كان لنا أجر إن فعلنا الخير. إنما منحنا الإختيار على أن تسند النعمة ضعفنا ..

وأيضاً جعل النعمة قوة من الخارج، لكى تظهر نية الإنسان فى طلب النعمة، واشتراك الإنسان بإرادته مع عمل النعمة، وتمسكه بها، وشكره على ما تعمله النعمة معه .

كيف تأتى النعمة ؟

بطريق كثيرة ، يمكن أن تصل النعمة إليك .

☩ تصل إليك النعمة عن طريق الصلاة .

المفروض فيك أن تطلب هذه النعمة. ترفع قلبك إلى الله وتقول له : اعطنى يارب نعمة في هذا العمل، لأنك أنت القائل "بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً" (يو١٥: ٥) .. اعطنى يارب نعمة لكى أنتصر فى حروبى. فهوذا الكتاب يقول "الحرب للرب" (١صم١٧:

٤٧) . والخلاص يارب هو من عندك . "وليس لديك مانع أن تخلص بالكثير أو بالقليل" (١صم١٤: ٦) ...

صلّ أيضاً وقل : اعطنى يارب نعمة تقوينى. لأننى أصلى دائماً مع المرتل وأقول "قوتى وتسبحتى هو الرب. وقد صار لى خلاصاً" (مز١١٨: ١٤) . اعطنى يارب نعمة تطهرنى "انضح علىّ بزوفاك فأطهر (مز٥٠) "اغسلنى كثيراً من إثمى، ومن خطيئتى طهرنى" (مز٥٠) . "توبنى فأتوب" (أر٣١: ١٨) .

اعطنى يارب نعمة تجعلنى أحبك أكثر من من كل شئ، وأكثر من كل أحد..

✠ ✠ ✠

✠على أن النعمة إن لم تصل إلى الإنسان بصلاته، فقد تأتيه بصلاة القديسين، أو بصلوات الكنيسة .

أنت لست وحدك فى جهادك، إنما هناك قديسون كثيرون يصلون من أجلك .. سواء من القديسين الأحياء أو الذين رحلوا عن عالمنا الفانى.. ولعلنى أذكر كمثال صموئيل النبى الذى قال "حاشا لى أن أخطئ إلى الرب، فأكف عن الصلاة من أجلكم" (١صم١٢: ٢٣) . وكذلك قول القديس بولس الرسول "..ذكرى إياكم دائماً فى أدعيتى، مقدماً الطلبة لأجل جميعكم" (فى١: ٣، ٤) .

كذلك الكنيسة تصلى باستمرار لأجلك فى كل احتياجات حياتك، وتطلب لك النعمة فى البركة التى تختم بها كل إجتماع، بقول الأب الكاهن "محبة الله الآب ونعمة إبنه الوحيد، وشركة وموهبة الروح القدس تكون مع جميعكم" (٢كو١٣: ١٤) .

ولا ننسَ النعمة التى تأتينا عن طريق شفاعة الملائكة وصلواتهم.

✠ ✠ ✠

✠النعمة تصل إلينا أيضاً فى كل سرّ من أسرار الكنيسة :

فكل سرّ من أسرار الكنيسة سمّى سراً لأنه يحوى نعمة سرية ينالها الإنسان عن طريق الصلاة وعمل الكهنوت .

ففى المعمودية مثلاً ينال نعمة غفران الخطايا ، نعمة البنوة لله وللكنيسة، وغير ذلك من النعم السرية التى لا يراها، ولكنها توهب له. فالتبرير الذى يناله، يقول عنه الكتاب "متبررين مجاناً بالنعمة" (رو٣: ٢٤) .

وفى سرّ الميرون (المسحة المقدسة) ينال نعمة أخرى هى سكنى الروح القدس فيه. وعن ذلك قال الرسول "أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم" (١كو٣: ١٦) . وطبعاً سكنى الروح فينا هو نعمة سرية لا نراها ، وهى أيضاً نعمة مجاناً .

وفى سرّ التوبة ينال الإنسان نعمة المغفرة .

وفى سرّ الإفخارستيا ينال المتناول نعمة الثبات فى الرب حسب وعده (يو٦: ٥٦) .

وفى سرّ الكهنوت ، ينال الكاهن الجديد نعمة أخرى هى سلطان الحلّ والربط، وممارسة الأسرار الكنسية .

وهكذا فى باقى الأسرار ، ينال ممارسها نعمة خاصة ..

✠ ✠ ✠

لذلك نحن أيضاً نعمد الأطفال ، ليس فقط من أجل خلاصهم (مر١٦: ١٦) . إنما أيضاً لكى نفتح أمامهم الباب ليقبلوا النعم التى فى الأسرار الكنسية .

لماذا نحرم الأطفال من نعمة البنوة، ومن النعم الخاصة بكل سرّ من الأسرار المقدسة؟! لماذ ننتظر عليهم إلى أن يكبروا ، ويقضوا كل تلك الفترة محرومين من كل تلك النعم، بينما كلها نعم مجانية؟!...

نقول أيضاً إن الذى يحرم نفسه من بعض الأسرار المقدسة المتاحة له - كالإعتراف والتناول - إنما يحرم نفسه من نعمة توهب فى كل سرّ ..

✠ ✠ ✠

✠ النعمة توهب أيضاً للإنسان - من غير الأسرار ، ومن

غير أن يطلب - كمجرد عطية من الله، بسبب محبة الله وعنايته .

الله الذى قيل عنه "من أجل صراخ المساكين وتنهد البائسين، الآن أقوم - يقوم الرب - أصنع الخلاص علانية" (مز ١٢: ٥) . وكما قال الرب لموسى النبى "قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر، وسمعت صراخهم بسبب مسخريهم. إنى علمت أوجاعهم، فنزلت لأنقذهم.." (خر٣: ٧، ٨) .

مجرد أن الرب رأى مذلة الشعب، وأنه سمع تنهد البائسين، حتى دون أن يطلب هؤلاء أو أولئك، يقوم الرب ليخلص ولينقذ ..

هناك أمثلة أخرى كثيرة فى الكتاب فيها النعمة توهب دون طلب:

مثال ذلك أنقاذ اسحق ، والسكين مرفوعة عليه :

لا اسحق طلب انقاذه ، ولا ابراهيم طلب نجاة ابنه من يده : ولكنه النعمة الإلهية تدخلت. وإذا بابراهيم يسمع ذلك الصوت المملوء حنواً: "لا تمد يدك إلى الغلام، ولا تفعل به شيئاً.." (تك٢٢: ١٢) .. إن نعمة الله هى التى افتقدت اسحق فى تلك اللحظة الحرجة، وأنقذته، دون طلب ..

✠ ✠ ✠

وأنت كذلك ، فى وقت ما ، دون جهد منك، تزورك النعمة :

تجد قلبك ملتهباً نحو الله، ومشتاقاً إلى الحياة. وكأنك تسمع صوت الله فى داخلك يدعوك إليه.. إنها زيارة من النعمة .

أو فى وقت ما ، تجد عندك مقاومة للخطية أو كراهية لها لم تكن عندك من قبل، وليست بمجهود منك.. بل هبة من النعمة. وعلى رأى القديس باسيليوس الكبير الذى سأله أحدهم عن رأيه فى الشخص الذى كان ينوى أن يرتكب خطية ولم يرتكبها؟ فقال القديس: لاشك أنه أُعين من النعمة .

✠ ✠ ✠

✠ومن الجائز أيضاً أن تأتيك النعمة، من أجل رضى الوالدين، أو من أجل مساكين قد أنقذتهم أو فقراء اشفقت عليهم .

بسبب بركة الوالدين تأتى النعمة، لأن الأمر باكرام الوالدين هو أول وصية بوعد (أف٦: ٢) . فمن أجل إكرامهما يهبك الله نعمة . لأن حبهما لك يعمل كشفاعة فيك ...

كذلك يقول الكتاب "من يرحم الفقير، يقرض الرب. وعن معروفه يجازيه" (أم١٩: ٧). وكيف يجازيه ؟ لاشك بعمل النعمة فيه. وهكذا فى مثل وكيل الظلم ، يقول الرب "إصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم" (لو١٦: ٩). هؤلاء الفقراء الذين أحسنت إليهم بهذا

المال الذى كنت قد ظلمتهم قبلا بعدم إعطائهم إياه، يصيرون بإحسانك إليهم أصدقاء لك يشفعون فيك فيرسل إليك الرب نعمته ...

بل النعمة أيضاً تأتيك بسبب أى عمل خير قد فعلته . وربما تكون قد نسيته، ولكن الله لم ينسه. الله الذى لا ينسى حتى كأس الماء البارد (مت١٠: ٤٢) .

✠ ✠ ✠

✠ وقد تأتيك النعمة بسبب تواضعك .

وفى ذلك يقول الكتاب إن "الله يقاوم المستكبرين. أما المتواضعون فيعطيهم نعمة" (يع٤: ٦) (١بط٥: ٥) . عجيبة هذه الآية التى اقتبسها أكثر من رسول .. على أن الله قد يعطى نعمة بسبب فضيلة أخرى.. حتى دون أن تطلب .

دون أن نطلب

✠ومما يدل على أن النعمة يعطيها الله أحياناً، دون طلب من المنعم عليه، أن الله يمنح النعمة حتى للجمادات والعجمادات .

لقد فكرت مرة كيف استطاع يوسف الصديق أن يخزن خلال السبع سنوات السمان قمحاً يكفى للسبع سنوات العجاف؟! ورأيت فى ذلك عجباً من أعمال النعمة فقلت فى نفسى:

كيف أمكن للقمح المخزون أن يستمر فى المخازن سبع

سنوات أو أكثر دون أن يسوس؟! أليس هذا عملاً من أعمال النعمة .

إنها النعمة التى حفظت القمح من السوس، كما حفظت أجساد الثلاثة فتية فى أتون النار دون أن تحترق، بل حفظت ملابسهم أيضاً (دا٣) . وكما تحفظ أجساد بعض القديسين دون أن يدركها فساد، فتظل بعد الموت سليمة لمئات السنين أو أكثر ...

✠ ✠ ✠

إنها النعمة التى افتقدت الأرض، وباركت غلة العام السادس .

فإذا بغلة العام السادس تكفى لثلاث سنوات كما قال الرب إنه يأمر ببركته للناس فيها (لا٢٥: ٢١). تماماً حسب وعده أيضاً للإنسان البار "مباركة تكون ثمرة أرضك.. مباركة تكون سلتك ومعجنك" (تث٢٨: ٤، ٥) .

إنها نفس النعمة التى باركت كوز الزيت وكور الدقيق فى بيت أرملة صرفة صيدا، فلم يفرغا طول مدة المجاعة أيام إيليا النبى (امل١٧: ١٦) .

✠ ✠ ✠

وهكذا كثير من العامة يسمون الخبز نعمة .

بل يسمون أيضاً كل خير مادى يأتى للإنسان إنه نعمة من الله .

إنها نعمة الله التى تفتقد حتى العصافير الصغيرة .

يعطيها طعامها وهى لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن (مت٦: ٢٦) . وواحد منها لا يسقط بدون أبيكم (مت١٠: ٢٩) "وليس واحد منها منسياً أمام الله" (لو١٢: ٦) . وك لذلك دون أن تطلب .

نعمة الرب تهتم حتى بالدودة التي تسعى تحت حجر ..

✠ ✠ ✠

ونعمة الرب تهتم بالفراشات وزنابق الحقل. حتى أنه ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها (مت٦: ٢٩) .



البَابُ الثالث

النعمَة التى للجميع ونعمَة الدّعوَة وَرفضها

النعمـــة للجميـــع

النعمـة تجـول فـى كــل مكـان تصنــع خــيراً ، تــوزع العطايــا والمواهب وتمنح المعونات . لا تحرم أحداً من افتقادها له ...

لا يوجد إنسان فى الدنيا لم يأخذ نصيبه منها . تعامل الكل بمبـدأ "تكافؤ الفرص" . فلا يستطيع أحد أ، يشكو قائلاً إنه قد حُرم منها

✠ ✠ ✠

ومـن أروع الأمثلـة علـى اهتمـام النعمـة بـالكل : مثـل الـزارع (مت١٣) .

لقد خرج ليزرع، فألقى بذاره فــى كـل مكـان . نقـرأ ببسـاطة أن بعض البذار وقعت على الطريق، والبعـض علـى أرض محجـرة ، والبعض وسط الشوك، والبعض فى أرض جيدة. ومن جهـة النعمـة نـرى معنـى عميقـاً ، نسـأل فيـه : أنـت يـارب كنـت تعلـم أن هـذه الأرض محجرة لا تنبت نباتاً، ولا مجال لبذارك فيهـا. فلمـاذا ألقيـت

عليها بذاراً ؟

يقول الرب : حتى الأرض المحجرة ، لا أحرمها من نعمتى !

لابد للأرض المحجرة أن تأخذ فرصتها، مثل الأرض الجيدة تماماً . وكذلك الأرض المملوءة شوكاً ، لابد أن تزورها نعمتى، ولو يظهر نباتها قليلاً ثم يختنق..! وحتى الأرض الجيدة ، ألقى بذارى على كل أنواعها ودرجاتها: ما ينبت ثلاثين، وما ينبت ستين، وما ينبت مائة ..

إننى ألقى بذارى فى كل موضع ، حتى لو أكله الطير. أعطى كل إنسان فيضاً من نعمتى، وأترك الباقى لحريته ...

✠ ✠ ✠

فى اختيار التلاميذ : نجد أن النعمة أيضاً لم تقتصر على المثاليين مثل يوحنا الحبيب. إنما أعطت فرصة لإنسان شكاك مثل توما، ولآخر مندفع مثل بطرس. أعطت الفرصة لجهال العالم وضعفاء العالم، وأيضاً للمزدرى وغير الموجود (١كو٢٧، ٢٨). وكذلك لشخص مثل شاول الطرسوسى الذى قال عن نفسه "أنا الذى كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً .." (١تى١: ١٣) .. بل أكثر من هذا كله، زارت النعمة إنساناً خائناً مثل يهوذا، وأجلسته فى صحبة الرسل الأول !

✠ ✠ ✠

ومن جهة النبوة زارت النعمة إنساناً خائناً ومحباً للمال، هو بلعام .

فتنبأ نبوءات صادقة عن المسيح (عد٢٤: ٢٤) . كذلك زارت النعمة شاول الملك (الذى رفضه الرب فيما بعد) فتنبأ هو أيضاً حتى تعجب الناس قائلين "أشاول أيضاً بين الأنبياء؟!" (١صم١٠: ١١) .

✠ ✠ ✠

ومن جهة الرعاية، أتت النعمة أيضاً إلى ديماس .

فصار من تلاميذ بولس الرسول ومن خير معاونيه (كو٤: ١٤). ولاشك أن كثيرين آمنوا على يديه .. أما كونه فيما بعد ترك الخدمة أو ترك الإيمان، وأحب العالم الحاضر (٢تى٤: ٩) ، فإن هذا لا يمنع من أنه قد أخذ نصيبه من النعمة ..

لا يستطيع ديماس أن يقول "تركتنى النعمة، أو لم تفتقدنى"! كلا، لقد أخذ نصيبه منها، وكان نصيباً وافراً .

ولكن النعمة فى عملها ، لا تلغى حرية الإنسان ...

✠ ✠ ✠

أيضاً نعمة الكهنوت زارت أريوس ونسطور وأوطاخى، وغيرهم من الذين سقطوا فيما بعد فى بدع وهرطقات .

إنه مبدأ "تكافؤ الفرص" الذى أعطت به النعمة النبوة لبلعام وشاول . ودعت إلى التلمذة ديماس، وإلى الخدمة نيقولاوس (أع٦:

٩) (رؤ٢: ١٥).. حتى لا يحتج أحد بأنه لم يأخذ نصيباً من الخدمة.

نعمة الدعوة

ونقصد بها الدعوة إلى الخدمة أو إلى الكهنوت . هذه التى قيل عنها :

"لا يأخذ أحد هذه الوظيفة (أو الكرامة) بنفسه، بل المدعو من الله كما هارون (عب٥: ٤) .

ليس الإنسان هو الذى يدعو، أو يقحم نفسه فى هذه الخدمة، بل الدعوة تأتيه من الله، بعمل النعمة. لهذا قال السيد المسيح لتلاميذه "لستم أنتم الذين اخترتمونى، بل أنا الذى أخترتكم" (يو١٥: ١٦) . "وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم" وقال أيضاً : "أنا أخترتكم من العالم" (يو١٥: ٢٩) .

الدعوة إذن عمل من أعمال النعمة. لذلك يقول الكتاب :

"الذين سبق فعرفهم، سبق فعينهم .. وهؤلاء دعاهم أيضاً" (رو٨: ٢٨، ٢٩) .

إذن النعمة دعت هؤلاء ، بناء على علم الله السابق بما سيكونون عليه بكامل إرادتهم فى حياتهم المقبلة . كما حدث مع يعقوب وعيسو . "لأنهما وهما لم يولدا بعد، ولا فعلا خيراً أو شراً.. قيل لها (لرفقة) : إن الكبير يستعبد للصغير" (رو٩: ١١،

١٢) (تك٢٥: ٢٣) .

✠ ✠ ✠

وهكذا فإن أعجب نوع من الدعوة، الذين دعاهم الله من بطون أمهاتهم!

مثل ما دعا يوحنا المعمدان من بطن أمه، وملأه من الروح القدس، لكى يتقدم أمامه بروح إيليا وقوته (لو١: ١٥، ١٦) ليكون الملاك الذى يهيئ الطريق قدامه (مر١: ٢) (ملا٣: ١) .

ومثلما دعا شمشون ونذره لنفسه قبل أن يولد (قض١٣: ٥) . وفيما بعد صار روح الرب يحركه (قض١٣: ٢٥) .

ومن أجمل هذه الأمثلة ، قول الرب لأرمياء :

"قبلما صورتك فى البطن عرفتك. وقبلما خرجت من الرحم قدستك. جعلتك نبياً للشعوب" (أر١: ٥) .

حقاً ، ماذا كانت إرادة أرميا قبل أن يولد؟ أو ماذا كانت قوته أو اتجاهاته! وحتى بعد ولادته . هذا الذى قال "لا أعرف أن أتكلم لأنى ولد" (أر١: ٦) .. ولكنها إرادة الله ، ونعمته التى اختارت ..

✠ ✠ ✠

إنها النعمة التى دعت أشخاصاً معينين، بناء على إرادة الله الصالحة وحكمته . وفى ذلك قال بولس الرسول :

"لما سرّ الله الذى أفرزنى من بطن أمى، ودعانى بنعمته، أن

يعلن ابنه فىّ، لأبشر به بين الأمم، للوقت لم أستشر لحماً ولا دماً" (غل١: ١٥، ١٦) .

جميلة هذه العبارة "دعانى بنعمته" . وعميقة فى تعبيرها عن هذا القديس .. حقاً إن شاول الطرسوسى الذى كان يضطهد الكنيسة بعمق، ويسطو على الكنائس ويدخل البيوت ويجر رجالاً ونساءً ، ويدخلهم إلى السجن" (أع٨: ٣) . هل كان يظن هذا الإنسان أنه سوف يصير رسولاً للمسيح ومبشراً به بين الأمم؟! كان ذلك مستحيلاً . ولكن النعمة افتقدته فى طريق دمشق. وقال له الرب "صعب عليك أن ترفس مناخس" (أع٩: ٥) ... ولم تكن تلك المناخس إلا عمل النعمة فيه ...

✠ ✠ ✠

لعل البعض يقول : وما ذنبى أن الله لم يدعنى ؟!

نقول له : لا ذنب لك ، إلا لو كانت شخصيتك لا صلاحية لها للعمل بسبب نقائص أو أخطاء .. أو قد أعدّ لك الله طريقاً آخر ...

وعلى العموم ليست الدعوة إلى الخدمة، سوى الدعوة إلى صليب تحمله ، وإلى مسئولية ، وإلى تعب وجهد وعرق ودموع . وفيها "كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه" (١كو٣: ٨) .

وقد لا تكون رسولاً ولا نبياً ، ولكن "أجر نبى تأخذ" (مت١٠: ٤١) . فلا تتضايق إذن إن لم تكن نبياً !

إن الله لا يهمه نوعية العمل الذى تعمله، بقدر ما يهمه نوعية القلب الذى يعمل، وأسلوبه فى العمل وعمقه .

اسطفانوس الشماس، لم يكن رسولاً ولا اسقفاً، بل مجرد شماس. ومع ذلك كان لعمله عمق كبير، ورأى الناس وجهه وكأنه وجه ملاك (أع٦: ١٥). واستحق أن يرى السماء مفتوحة (أع٧: ٥٦).

القبول أو الرفض

فإن كانت الخدمة نعمة، فماذا نقول إذن عن الذين يُدعون فيرفضون !!

أو على الأقل تصلهم الدعوة فيعتذرون عنها بأسباب كثيرة..، أو ترفضها زوجاتهم أو آباؤهم وأمهاتهم.. أو يحتجون بأن الدعوة ليست واضحة، وأنه تلزمهم أدلة وبراهين وإثباتات!!

إن رفض الدعوة أو إهمالها أو الإعتذار عنها، أمر خطير ينبغى أن يعمل له الإنسان ألف حساب. والذى يرفض الكهنوت من أجل سبب عالمى، إنما يرفض أن يكون وكيلاً لله (١كو٤: ١) وخادماً لمذبحه ووسيطاً للأسرار الإلهية، وشفيعاً بين الله والناس .

☩ ☩ ☩

الدعوة نعمة تقدم للناس . هناك من يقبلها . وهناك من يرفضها ...

لقد سبق للرب أن دعا أشخاصاً "فابتدأ الجميع برأى واحد يستعفون. فقال الأول إنى أشتريت حقلاً، وأنا مضطر أن أخرج وأنظره. أسألك أن تعفينى. وقال آخر إنى أشتريت خمسة أزواج بقر، وأنا ماضٍ لأمتحنها. أسألك أن تعفينى. وقال آخر إنى تزوجت بإمرأة. لا أقدر أن أجئ" (لو١٤: ١٨- ٢٠).. وكان كل أولئك رموزاً لرفض الدعوة الإلهية ..

وكذلك الشاب الغنى، الذى أوضح له الرب الطريق "فمضى حزيناً، لأنه كان ذا أموال كثيرة" (مت١٩: ٢٢) .

كل أولئك قابلوا نعمة الدعوة بالرفض. ولم يرغمهم الرب على القبول .

✠ ✠ ✠

ما نقوله عن الذين يرفضون الكهنوت، نقوله أيضاً فى مجال الرهبنة .

تحرك النعمة قلب إنسان للزهد فى العالم والتفرغ لله، فيلتهب قلبه للبدء فى هذا الطريق الملائكى، فتقوم قائمة أسرته كما لوكان قد هلك أو سيهلك! كما لو كانت الرهبنة تهمة أو عاراً ..!! ولماذا؟! أليست نعمة أن يسكن فى بيت الرب، ويستمع إلى قول المزمور "طوبى لكل السكان فى بيتك. يباركونك إلى الأبد" (مز٨٤: ٤) ... أو قوله أيضاً "واحدة طلبت من الرب وإياها ألتمس: أن

أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى. لكى أنظر نعيم الرب، وأتفرس فى هيكله المقدس (مز ٢٧: ٤) .

✠ ✠ ✠

النعمة تعرض على البعض ، فلا يرون أنها نعمة. ويظنون أن حياتهم بعيداً عن هذه النعمة هى أفضل !!

ينطبق على هؤلاء قول المثل الشعبى "ده مش وش نعمة" ! ويدخل فى هذا المجال أيضاً كل الذين يرفضون عمل التكريس لخدمة الرب. بعكس هؤلاء شاول الطرسوسي الذى لما أتته النعمة قال "للوقت لم استشر لحماً ولا دماً، ولا صعدت إلى أورشليم، إلى الرسل الذين كانوا قبلى" (غل١: ١٧) .

✠ ✠ ✠

وعكس هؤلاء أيضاً قديسون آخرون قبلوا الدعوة :

متى العشار ، الذى دُعى وهو فى مكان الجباية ، فقام وترك كل شئ وتبع الرب (مت٩: ٩). وبطرس وإندراوس، لما دعاهم الرب، تركا السفينة والشباك وسارا وراءه ليصيرا من صيادى الناس (مت٤: ١٨- ٢٠) . وكذلك فعل يعقوب ويوحنا أخوه (مت٤: ٢١، ٢٢) . وبالمثل فعلت المرأة السامرية التى تركت جرتها ومضت تبشر به (يو٤: ٢٨) . ومن قبل ترك موسى قصر فرعون "حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر" (عب١١: ٢٦) . وبالمثل

فعل أبونا ابراهيـم، لمـا تـرك أهلـه وعشـيرته وبلـده، ومضـى وراء الله، وهو لا يعلم إلى أين يذهب (عب١١: ٨) .

كل أولئك استجابوا للدعوة وأطاعوا ، وضحوا من أجلها .

✠ ✠ ✠

فإن لم تدعوا أنتم دعوة كبيرة كهؤلاء . فعـل الأقـل دعيتـم لكـى تكونوا هياكل لله ومسكناً لروحه القدوس (١كو٣: ١٦) ، ليعمل الله فيكم وبكم .. فمن منكم يجرؤ أن يرفض تلك الدعوة الإلهية ؟!

ليت كل إنسان يصلى بدموع أن ينال هذه الدعوة، وأن يراه اللـه مستحقاً لها . ولا يكون كالذى تمر به الدعوة الإلهية، فلا يراها ولا يشعر بها. كما قيل إن النور أضاء فى الظلمة، والظلمـة لـم تدركـه" (يو١: ٥) ...

✠ ✠ ✠

نضرب مثلاً غير هؤلاء وهو :

هنـاك أشـخاص يلقـون بأنفسـهم فـى طريـق الـرب ، فيدعوهـم بنعمته :

هم الذين يبدأون . ثم يدعوهم الله حينما يـرى أمـانتهم ، أو بعـد أن يعدّهـم إعـداداً صـالحـاً للخدمـة . مثـل موسـى الأمـير الـذى ألقـى بنفسه فى طريق الخدمة . ولكنه ارتكب أخطاء فــى البدايـة . فـأخذه الله وأعده فى البرية ، ثم أرسله (خر٢، ٣) .. وفى يوم من الأيــام،

أتاه صوت الله من العليقة "أنا إلـه أبيك ابراهيم وإلـه اسـحق، وإلـه يعقوب .. إنى قد رأت مذلة شعبى الذى فـى مصـر .. فـالآن هلـمّ فأرسلك إلى فرعون.." (خر٣: ٣- ١٠) .

✠ ✠ ✠

اشعياء النبى مثل من أعجب الأمثلة فى الدعوة .

سمع صوت الرب قائلاً "من أرسل؟ ومـن يذهـب مـن أجلنـا؟.." (أش٦: ٨) . فقدّم اشعياء نفسه وقال "هأنذا فأرسلنى" ..

من منكم - كاشعياء - يلقـى نفسـه أمـام الـرب قـائلاً : هـأنذا فارسلنى ؟

إن الدعوة نعمة من الله . هناك مـن يسـعى إليهـا . وهنـاك مـن تأتيه النعمة دون سعى منه، فيقبلها . وهناك من تأتيه فيرفضها .

وهناك أشخاص يعقدون الأمور . وكلما تأتيهم النعمة يشكون... ويتساءلون أحقاً هذه دعوة ؟! ولا يميزون صوت الله ...

نشكر الله الذى دعانا جميعاً بنعمته ، لكى نكون ابناء اللـه، أمـة مقدسة وكهوتاً مقدسة ، مبنيين كحجارة حية ، بيتاً روحيـاً .. جنسـاً مختاراً وكهنوتاً ملوكياً (١بط٢: ٥، ٩) .



الباب الرابع

النعمة الحافظة وعملها

لماذا الحفظ الإلهى

نحن لا نستطيع أن نحمى أنفسنا أو نحفظ أنفسنا ، من أى خطر أو من أى شر . الله هو الذى يحافظ علينا . لهذا نصلى قائلين :

لا تدخلنا فى تجربة ، لكن نجنا من الشرير (مت٦: ١٣) .

لو كنا نحن نستطيع أن ننجى أنفسنا، ما كنا نطلب من الله فى كل يوم أن ينجينا من الشرير . ونقول فى تحليل صلاة الغروب يومياً : "نجنا من حيل المضاد، وابطل سائر فخاخه المنصوبة لنا".. وأيضاً نطلب فى صلاة النوم قائلين : تفضّل يارب أن تحفظنا فى هذا بغير خطية ...

✠ ✠ ✠

الحفظ الذى نطلبه من نعمة الله، هو حفظ من التجارب والضيقات، وحفظ من السقوط فى الخطية، وحفظ من مكايد الشيطان والناس الأشرار .

حقاً إننا لا نحمى أنفسنا، وإنما الله هو الذى يحمينا . وما أكثر

المزامير التى تغنى بها داود النبى فى هذا المعنى ...

إننا كثيراً ما نعتمد على عقولنا وعلى قوتنا لتحفظنا، أو قد نعتمد على الناس وحيلهم أو على سلطانهم ، ونترك الإعتماد على نعمة الله الحافظة . ويقف أمامنا قول المرتل فى المزمور :

"إن لم يبنِ الرب البيت ، فباطلاً هو تعب البناءون "

"وإن لم يحرس الرب المدينة، فباطلاً سهر الحارس" (مز١٢٧: ١) .

ويقول فى مزمور آخر : "الاتكال على الرب، خير من الإتكال على البشر. الرجاء بالرب، خير من الرجاء بالرؤساء" (مز١١٨: ٨، ٩) .

✠ ✠ ✠

كان يعقوب أبو الآباء هارباً من بطش عيسو أخيه . ثم افتقدته فى الطريق نعمة الله الحافظة . وقال له الرب :

'ها أنا معك، وأحفظك حيثما تذهب، وأردك إلى هذه الأرض" (تك٢٨: ١٥) .

ووفى الله بوعده . وكان الحفظ الإلهى مع يعقوب طوال رحلته فى ذلك الهروب حتى أعاده سالماً إلى بيت أبيه.. حفظه من لابان الذى جرى وراءه فى هروبه وفتش أمتعته، وحذر الله لابان من

جهة يعقوب (تك٣١: ٢٤، ٢٩) . وحفظه الله مـن أهـل شـكيم، فلـم ينتقموا منه (تك٣٤: ٣٠، ٣١) . وحفظه الرب من عيسو أخيـه فلـم يؤذه بشئ (تك٣٣) على الرغم من أن يعقـوب كـان خائفـاً منـه جـداً (تك٣٢: ١١) .

✠ ✠ ✠

حقاً ، لولا نعمة الله الحافظة ، لهلكنا جمعياً .

ما أكـثر الأخطـار التـى تقـوم علينـا، ونتعـرض لهـا فـى عنفهـا. "ولكننا فى هذه جميعها يعظـم انتصارنـا بـالذى أحبنـا" (رو٨: ٣٧). ونصلى قائلين فى المزمـور "لـولا أن الـرب كـان معنـا – حيـن قـام النـاس علينا، لابتلعونا ونحن أحياء عند سخط غضبهم علينا .. نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين . الفخ أنكسـر ونحـن نجونـا. عوننا من عند الرب الذى صنع السماء والأرض" (مز١٢٤) ...

يقيناً ، ماذا كـان يستطيع هـذا العصفـور المسكين أن يفعـل؟! أكان يستطيع أن يكسر فخ الصيادين بنفسه؟! محال ...

ومع ذلك فهو يصلى ويقول "الفخ أنكسر ، ونحن نجونا" . وتسأله كيـف أنكسر؟! فيجيب: إنها نعمة اللـه الحافظـة . النعمـة التـى نفتقـد الضعفاء. والتى تغنى بها داود فقال "جميع عظـامى تقـول : يـارب، من مثلك؟! المنقذ المسكين ممن هو أقوى منه ، والفقير والبائس من

سالبه" (مز ٣٥: ١٠) ...

✠ ✠ ✠

ويقول نفس المعنى فى مزمور آخر :

"كثيرة هى أحزان الصديقين، ومن جميعها ينجيهم الرب (مز ٣٤: ١٩) .

ويقول بعدها مباشرة "يحفظ جميع عظامهم ، وواحدة منها لا تنكسر" (مز ٣٤: ١٠) . نعم، إنها النعمة الحافظة .. وفيها يعدنا الرب فى المزمور فيقول "لا تخشَ من خوف الليل، ولا من سهم يطير بالنهار. يسقط عن يسارك ألوف، وعن يمينك ربوات، وأما أنت فلا يقتربون إليك.. لا تصيبك الشرور، ولا تدنو ضربة من مسكنك. لأنه يوصى ملائكته بك ليحفظوك فى سائر طرقك. على أيديهم يحملونك، لئلا تعثر بحجرٍ رجلك" (مز ٩١) . حقاً إنها النعمة الحافظة ...

✠ ✠ ✠

والنعمة الحافظة لها مزمور خاص ، تكثر فيه عبارة (يحفظك) فيقول :

"الرب يحفظك . الرب يظلل على يدك اليمنى، فلا تضربك الشمس بالنهار، ولا القمر بالليل. الرب يحفظك من كل سوء . الرب يحفظ نفسك. الرب يحفظ دخولك وخروجك، من الآن وإلى

الدهر، هللويا" (مز ١٢١) .

هذه هى النعمة الحافظة التى تتولاك فى كل أمورك، وفى كل تحركاتك، فى دخولك وخروجك، وتحفظ نفسك ...

✠ ✠ ✠

الرب هو سور خلاصنا ، يرعانا ويحفظنا من كل سوء . يحفظنا كلما أراد الأعداء إسقاطنا. وفى ذلك يقول المرتل :

"دُفعت لأسقط ، والرب عضدنى" (مز١١٨: ١٣) .

هذه هى النعمة الحافظة ، التى تحفظنا من السقوط.

فإن وجدت نفسك قائماً ولم تسقط، فلا تفتخر كأنك أقوى من السقوط . فالكتاب يقول عن الخطية: "طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلاها أقوياء" (أم٧: ٢٦) .. إنما هى النعمة الحافظة، التى حفظتك من السقوط فلم تسقط. ولو أن النعمة تخلت عنك ولو لحظة، لشابهت الساقطين في الجب. هوذا المرتل يقول :

"فى الطريق التى أسلك أخفوا لى فخاً . تأملت عن اليمين وأبصرت، فلم يكن من يعرفنى. ضاع المهرب منى، وليس من يسأل عن نفسى. فصرخت إليك يارب وقلت أنت هو رجائى وحظى فى أرض الأحياء.. نجنى من الذين يضطهدوننى ، فإنهم قد أعتزوا أكثر منى.." (مز١٤٢: ٣- ٦) .

✠ ✠ ✠

إن نعمة الله الحافظة لنا ، يمكن أن تحول حياتنا كلها إلى شكر .

فنتغنى بعمل النعمة معنا، فى كل ما تمتد إليه أيدينا من عمل، وفى كل ما نتعرض له من مشاكل. ونقول "باركى يا نفسى الرب، ولا تنس كل حسناته" (مز١٠٣: ٢). ونقول مع المرتل "سبحى الرب يا أورشليم سبحى إلهك يا صهيون. لأنه قوى مغاليق أبوابك، وبارك بنيك فيك. الذى جعل تخومك فى سلام، ويملأك من شحم الحنطة" (مز١٤٧: ١٢- ١٤) .

✠ ✠ ✠

ونعمة الله الحافظة تجعلنا نعيش فى اطمئنان وإيمان، واثقين بعمل النعمة من أجلنا، فى حفظنا .

فى هذه الثقة بعمل النعمة الحافظة نقول للرب "إن سرت فى وادى ظل الموت، لا أخاف شراً لأنك أنت معى. عصاك وعكازك هما يعزياننى" (مز٢٣: ٤). أيضاً نقول له "إن يحاربنى جيش، لن يخاف قلبى. وإن قام علىّ قتال، ففى هذا أنا مطمئن" (مز٢٧: ٣).. ولماذا هذا الإطمئنان وعدم الخوف؟ سببه الثقة بالنعمة الحافظة. فأنا واثق من قبل بعمل النعمة الحافظة معى. لأنه "عندما اقترب إلىّ الأشرار ليأكلوا لحمى، مضايقىّ وأعدائى عثروا وسقطوا" (مز٢٧: ٢).

✠ ✠ ✠

هذه النعمة الحافظة، هي التي حفظت دانيال في جب الأسود .

وتغنى دانيال بهذا فقال "إلهي أرسل ملاكه ، فسدّ أفواه الأسود" (دا٦: ٢١).. أكان دانيال يستطيع أن ينقذ نفسه من بطش الأسود به في الجب؟! كلا، طبعاً. ولكنها النعمة الحافظة ...

✠ ✠ ✠

ونفس الوضع بالنسبة إلى الثلاثة فتية في أتون النار .

وبالنسبة إلى الفتى داود أمام جليات الجبار .

النعمة التي حفظت الثلاثة فتية ، "فلم تكن للنار قوة على أجسامهم، وشعرة من رؤوسهم لم تحترق" (دا٣: ٢٧). وخرجوا من النار أحياء، على الرغم من أن نبوخذ نصر كان قد "أمر أن يحموا الأتون سبعة أضعاف أكثر مما كان معتاداً أن يُحمى" (دا٣: ١٩).. ولكنها النعمة الحافظة هي أنقذتهم .

وهكذا النعمة الحافظة حفظت داود من بطش جليات الجبار، الذي لما رآه "احتقره ، لأنه كان غلاماً وأشقر جميل المنظر" (١صم١٧: ٤٢) .. فماذا تستطيع حصاة في مقلاع ذلك الغلام أن تفعل؟! إنها النعمة الحافظة ...

✠ ✠ ✠

النفس البشرية مهما كانت ضعيفة، تشعرها النعمة الحافظة بالإطمئنان. فينظر إليه الملائكة وينشدون :

من هذه الطالعة من البرية مستندة على حبيبها (نش٨: ٥) .

طالعة من برية العالم، مستندة على النعمة الحافظة التى تحيط بها من الرب الذى تحبه. لأنها بذاتها لا تستطيع شيئاً (يو١٥: ٥) . ولكنها فى كل حياتها تستند على الحفظ الإلهى الذى تقدمه النعمة... إنها لا تدّعى القوة. بل تقف أمام الله كالأطفال...

✠ ✠ ✠

يقول الوحى الإلهى:

"حافظ الأطفال هو الرب" (مز١١٦: ٦) .

حافظ المتضعين والبسطاء، الذين لا يعتمدون على ذراعهم البشرى، وإنما على نعمة الله الحافظة. كالطفل الذى حينما يسير فى ميدان عام مزدحم، لابد أن يمسك بيد أبيه. وكالشعب أيام موسى النبى، ما كان قادراً أن يقف أمام فرعون ومركباته وفرسانه. بل اعتمد على نعمة الرب، حسب قول موسى النبى :

"الرب يقاتل عنكم ، وأنتم تصمتون" (خر١٤: ١٤) .

فما معنى عبارة "الرب يقاتل عنكم"؟ معناه أن نعمة الرب سوف تحفظكم. هى التى تشق البحر أمامكم، وتجعل المياه مثل سور عن يمينكم ويساركم إلى أن تعبروا بسلام" (خر١٤: ٢٢) .

انتم لا تستطيعون أن تحافظوا على أنفسكم فى وسط البحر، ومركبات فرعون خلفكم. إنما نعمة الله هى التى تحفظكم سالمين.

فلا يقوى عليكم فرعون ، ولا يقوى عليكم البحر الأحمر ...

✠ ✠ ✠

نعمة الله هى التى حفظت الشهداء أثناء محاكماتهم وأثناء تعذيبهم .

حفظتهم من كل الإغراءات التى تعرضوا لها، ومن كل التهديدات التى هددوهم بها، وحفظتهم أثناء احتمالهم للآلام والعذابات. كما حفظتهم من الشكوك وأفكار العدو.. وظل حفظ النعمة لهم حتى أكملوا جهادهم بسلام ... حفظتهم النعمة من الخوف، ومن تأثير العذاب على معنوياتهم ...

✠ ✠ ✠

ونعمة أيضاً هى التى حفظت آباءنا المتوحدين فى البرارى والقفار وفى شقوق الجبال.

عاشوا فى البرية فى وحدة موحشة ، فحفظتهم النعمة من الضجر والقلق، ومن الخوف، من الوحوش الضارية، ومن الحيات والعقارب والثعابين ودبيب الأرض وكل المؤذيات. وحفظتهم من حرّ الصيف وبرد الشتاء وكل تقلبات الطبيعة. كما حفظتهم أيضاً من خداعات الشياطين وحيلهم وحروبهم ومناظرهم المفزعة.

لاشك أنها النعمة الحافظة التى لولاها ما استطاع أولئك القديسون أن يصمدوا عشرات السنوات فى حياة الوحدة. وبخاصة

الآباء السواح الذين كانوا يقضون عمرهم لا يرون وجه إنسان ...

✠ ✠ ✠

وهى النعمة الحافظة التى حفظت من قال عنهم الرب :

وإن شربوا سماً مميتاً لا يضرهم (مر١٦: ١٨) .

كما حدث مع القديس الشهيد مارجرجس ، الذى كلفوا ساحراً أن يجهز له سماً مميتاً وأمـروه بشـربه، فرشـم عليـه بعلامـة الصليـب، وشربه ودون أن يضره بشئ. فآمن الساحر الذى جهز له السمّ.

إنها النعمة الحافظة التى حفظته وقتذاك .

أتقول . ولكن ليس الجميع يحدث لهم هذا.. أقـول لـك : ليـس بسبب نقص من جهة عمل النعمة ، ولكن بسبب نقص فى إيمانـهم أو بسبب تدبير إلهى من جهة حياتهم أو رحيلهم .

✠ ✠ ✠

اسأل نفسك : هل عندك إيمان بعمل النعمة فيك وبحفظهـا لـك ؟ لو كان لك هذا الإيمان، لرأيت عجباً فى حياتك .. ومع ذلك، إن لـم يكن لك الإيمان، فعلى الأقل: لتكن لك الذاكرة.. حاول أن تتذكر كـم عمل الرب معك فى الماضى، وكم افتقدتك النعمة الحافظة فأنقذتك.. تذكر عمل الرب بنعمته، ولا تنس كل أحساناته .

✠ ✠ ✠

ليس فقط فى الأمور المعجزية ، والفائقة للطبيعة، بـل حتـى فـى

أمور الحياة اليومية وكيف ترى حفظ النعمة لك ...

وهنا أتذكر قول داود النبى عن النعمة الحافظة :

ضع يارب حافظاً لفمي، وباباً حصيناً لشفتيّ" (مز١٤١: ٣) .

فإن مر عليك وقت لم تخطئ فيه بشفتيك، اعرف أن النعمة الحافظة قد حفظت باب شفتيك حسب قول المزمور ...

✠ ✠ ✠

أشخاص كثيرون يشكرون على حفظ النعمة لهم في الأمور التى يعرفونها فقط. أقصد الحفظ الإلهى الواضح .

لكن النعمة تحفظ كثيرين من تجارب لا يعرفونها. منعتها النعمة قبل وصولها إليهم .

وضع الله حداً للناس الأشرار ومنعهم من الإيذاء .

وضع حداً للشيطان في تجاربه . كما قال له عن أيوب الصديق "ولكن لا تمس نفسه" (أى٢٠: ٦) .

إن أيوب حينما قال "ليكن إسم مباركاً" كان يقصد التجارب الخاصة بالأملاك والبنين . ولكن هل كان يشكر على حفظ الله لنفسه، ومنع الشيطان من أن يقترب إلى قلبه وفكره وروحه .

البَابُ الخامس

النعمة التى تعطى علينا أن نختير عطاءها

أمثلة من العطاء

كل الخيرات التى تحيط بالإنسان هى عطية النعمة . لذلك فإن الذى يحيا فى رغد من العيش، يقول عنه عامة الناس "فلان عايش فى نعمة" .

إنها النعمة التى تعطى البركة فى كل ما يملكه الإنسان، فيزيد جداً، ويتسع، كما قال الرب فى وعوده لمن يطيع وصاياه :

"مباركة تكون سلّتك ومعجنك" (تث٢٨: ٥) .

"مباركة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك وثمرة بهائمك: نتاج بقرك وإناث غنمك" (تث٢٨: ٤) "يأمر لك الرب بالبركة فى خزائنك وفى كل ما تمتد إليه يدك" "يفتح لك الرب كنزه الصالح.. ليعطى مطر أرضك فى حينه.." (تث٢٨: ٨، ١٢) .

وليس هذا فقط فى الخيرات المادية، بل يقول الكتاب :

"كل عطية صالحة، وكل موهبة تامة، هى من فوق، نازلة من

عند أبى الأنوار" (يع١: ١٧) .

✠ ✠ ✠

إن مباركة ما عندك، هى من النعمة التى تعطى ، فلا يعوزك معها شئ" (مز٢٣: ١). النعمة التى تعطى بركة للخمس خبزات والسمكتين، فتكفى لإطعام خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأطفال، ويفضل عنهم الكثير (١٤: ١٧- ٢١) .

إنها النعمة المعطية التى تنزل المن والسلوى من السماء، فتغطى الأرض (خر١٦: ١٣) .

وقال موسى النبى عن ذلك المنّ "هو الخبز الذى أعطاكم الرب لتأكلوا" (خر١٦: ١٥)...

النعمة أيضاً فجرّت لهم ماء من الصخرة (مز٧٨: ٢٠) .

إنها النعمة التى تفتح كوى السماوات ، فتفيض بركة حتى لا توصع " (ملا٣: ١٠) .

✠ ✠ ✠

نعمة الرب تعطى بسخاء، وتبارك القليل فيصير كثيراً .

هى التى باركت كوار الدقيق وكوز الزيت فى بيت أرملة صرفة صيدا، فى عهد إيليا النبى. فلم يفرغ كوار الدقيق، ولم ينقص كوز الزيت طول فترة المجاعة (١مل١٧: ١٤، ١٥) .

✠ ✠ ✠

إنها النعمة التى عاش بها تلاميذ السيد المسيح .

فخرجوا إلى الخدمة، بلا ذهب ولا فضة ولا نحاس فى مناطقهم، ولا مزود للطريق" (مت١٠: ٩، ١٠) . ولم يعوزهم شئ (لو٢٢: ٣٥) ... كانت نعمة الله هى التى ترعاهم فى طريق خدمتهم، وتسد كل احتياجاتهم. ولم تكتفِ النعمة بسد إحتياجاتهم، بل أكثر من هذا يقول الرسول: "كفقراء، ونحن نغنى كثيرين! كأن لا شئ لنا، ونحن نملك كل شئ" (٢كو٦: ١٠) ... بل ما أجمل قول الرب للقديس بولس الرسول :

"تكفيك نعمتى .." (٢كو١٢: ٩) .

إلى هذا الحد ، تكون النعمة كافية، فى المرض، في الضعف، فى الفقر والعوز. لا يحتاج الإنسان إلى شئ آخر، مادامت النعمة تعمل فيه ، وتعمل من أجله ...

✠ ✠ ✠

النعمة خرج بها أبونا ابراهيم من أرضه فقيراً. وعاش بعد ذلك كأغنى أغنياء الأرض.. وخرج بها موسى النبى هارباً من أرض مصر، وهو لا يملك أى شئ. ثم عاد ليصير "إلهاً لفرعون" (خر٧: ١) . وخرج بها يوسف الصديق، وهو عبد للإسماعيليين ثم عبد لفوطيفار .. وتولته النعمة حتى صار "أباً لفرعون، وسيداً لكل بيته، ومتسلطاً على كل أرض مصر" (تك٤٥: ٨) .

أعطته العناية الإلهية نعمة فى أعين الكل .

أعطاه الرب نعمة فى عينى فوطيفار، فوكّله على بيته، ودفع إلى يده كل ما كان له (تك٣٩: ٤) . ولما ألقى فى السجن "بسط الله إليه لطفاً. وجعل له نعمة في عينى رئيس السجن" (تك٣٩: ٢١) . فدفع إليه جميع الأسرى . "ولم يكن رئيس بيت السجن ينظر شيئاً البتة مما في يده" (تك٣٩: ٢٣) . ثم أعطاه الرب نعمة فى عينى فرعون، فجعله الثانى فى المملكة . "وخلع خاتمه من يده وجعله فى يد يوسف" . وقال له "بدونك لا يرفع إنسان يده ولا رجله فى كل أرض مصر" (تك٤١: ٤٢، ٤٤) .

✠ ✠ ✠

نعمة الرب عملت أيضاً مع يعقوب أبى الآباء :

فقال للرب - عرفاناً بنعته - "صغيراً أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التى صنعت إلى عبدك. فإنى بعصاى عبرت هذا الأردن، والآن قد صرت جيشين" (خر٣٢: ١٠). وأعطاه الرب نعمة فى عينى أخيه عيسو - وهو خائف منه - "فركض عيسو للقائه وعانقه، ووقععلى عنقه وقبّله، وبكيا" (تك٣٣: ٤، ١٠) .

✠ ✠ ✠

دائماً - فى لغة الكتاب المقدس - يعبّر عن رضى شخص على آخر، بكلمة "وجد نعمة فى عينيه" .

كما قال الكتاب عن دانيال النبى "وأعطى الله دانيال نعمة ورحمة عند رئيس الخصيان" (دا١: ٩) . وكما قال أبونا يعقوب لعيسو أخيه "إن وجدت نعمة فى عينيك، تأخذ هديتى من يدى.." (تك٣٣: ١٠). وكما قال لإبنه يوسف "إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك.. أصنع معى معروفاً وأمانة: لا تدفنّى فى مصر، بل أضطجع مع آبائى" (تك٤٧: ٢٩، ٣٠). وكما قال جدعون لملاك الرب "إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك، فاصنع لى علامة" (قض٦: ١٧). وقيل عن الطلاق "إن أخذ رجل إمرأة وتزوج بها، فإن لم تجد نعمة فى عينيه.. وكتب لها كتاب طلاق.." (تث٣٤: ١).

✠ ✠ ✠

النعمة أيضاً تعطى كلمة للمبشرين والوعاظ .

كما قيل فى المزمور "انسكبت النعمة على شفتيك" (مز٤٥: ٢).

وقيل عن السيد الرب وهو يتكلم فى المجمع ويشرح ما ورد عنه فى سفر أشعياء النبى "كان الجميع يشهدون له، ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه" (لو٤: ٢٢) . وهكذا كان بولس الرسول يطلب أن تعطيه النعمة ما يتكلم بها. فقال فى رسالته إلى أفسس "مصلين بكل صلاة وطلبة.. لأجلى لكى يُعطى لى كلام عند

افتتاح فمى، لأعلّم جهاراً بسرّ الإنجيل" (أف٦: ١٨، ١٩) .

✠ ✠ ✠

النعمة أيضاً تعطى قوة :

كما قال القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس "فتقوّ أنت يا ابنى بالنعمة التى فى المسيح يسوع" (٢تى٢: ١) . وقال عن فاعلية النعمة فى خدمته "ولكن بنعمة الله أنا ما أنا. ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة، بل أنا تعبت أكثر من جميعهم. ولكن لا أنا، بل نعمة الله التى معى" (١كو١٥: ١٠) . وقيل عن خدمة أبولس فى أخائية "فلما جاء ساعد كثيراً بالنعمة الذين كانوا قد آمنوا" (أع١٨: ٢٧) .

وقيل عن النعمة فى تبشير الرسل بالقيامة "وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع. ونعمة عظيمة كانت على جميعهم" (أع٤: ٣٣) . إن القوة العظيمة فى شهادتهم، كانت بسبب النعمة العظيمة التى عليهم.

لا شك أن الوعظ يحدث تأثيره ، بسبب عمل النعمة فى كلماته.

✠ ✠ ✠

النعمة قوة خفية تعطى للإنسان .

تحرك فيه محبة الله ، تحرك فيه الرغبة فى التوبة .. تعطيه مشاعر مقدسة . وتعطيه قوة على السير فى طريق الله، قوة على

الصمود أمام حروب العدو واغراءاته ...

✠ ✠ ✠

النعمة هى التى تعطى المواهب . وتُعطى للمتواضعين .

فالمواهب هى هبة من الله، هى عطية من نعمته . لذلك لا يجوز أن يفتخر إنسان بمواهبه، لأنها ليست منه بل موهوبة له. الله أنعم عليه بها، إذن هى من عمل النعمة .

ولذلك فالمواهب وكل عمل النعمة، إنما يتمتع بها المتواضعون. كما يقول الكتاب "تسربلوا بالتواضع . لأن الله يقاوم المستكبرين، أما المتواضعون فيعطيهم نعمة" (١بط٥: ٥). وتكرر نفس الكلام في رسالة معلمنا يعقوب الرسول (يع٤: ٦) .

فالمتكبر إذ يستخدم نعمة الله للافتخار وتمجيد ذاته، تفارقه النعمة لأنه لا يستخدمها لضرورة روحياً. وهكذا ورد أيضاً فى العهد القديم ، فى سفر الأمثال "يعطى نعمة للمتواضعين" (أم٣: ٣٤)

✠ ✠ ✠

ليتنا نختبر العطاء

ليتنا - فى حياتنا جميعاً - نختبر عمل النعمة .

كثير من الناس لم يختبروا النعمة بعد !! لقد جربوا قوتهم البشرية، وجربوا القدرات والمهارات والحيل البشرية. وجرّبوا المعونة التى تأتيهم من الناس. ولكنهم للأسف لم يختبروا نعمة الله

ولم يسلموها حياتهم لتعمل فيها ...

وكلما يقع أحد منهم فى إشكال ، يحاول أن يصل إلى الحل، إما بعقله البشرى، أو عن طريق الناس. دون أن يسكب نفسه أمام الله طالباً تدخل نعمته .

هناك إذن من يعتمد على أصحابه أو على ذاته. وهناك نوع من الناس يفتح السماوات بصلاته .

وكل واحد من هذين له منهج فى الحياة يختلف عن الآخر ...

✠ ✠ ✠

ولعل واحداً يسأل : أنا لم أرَ هذه النعمة التى تُعطى !

أنت لم ترها ، لأنك لم تختبرها .. ولم تختبرها لأنك لم تطلبها... ولم تطلبها لأنك لا تشعر حتى الآن بقيمتها فى حياتك من كل ناحية.. لذلك حاول أن تصرّ علىالأخذ من الله وحده .. قل له:

يارب ، أنا لا آخذ إلا منك أنت .

لن أطلب من العالم، ولا من الناس ولا من قدراته وذكائى! سأطلب منك أنت، وسوف آخذ لأنك أنت القائل : اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم" (مت٧: ٧).. لماذا تاهت عنى هذه الوعود الإلهية ولم أختبرها؟! لماذا لم أجرّب الصلاة التى آخذ بها من عطايا النعمة الإلهية ما أريده؟! هوذا الرب يقول لنا ما سبق أن قاله لتلاميذه "إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمى. اطلبوا، تأخذوا ليكون

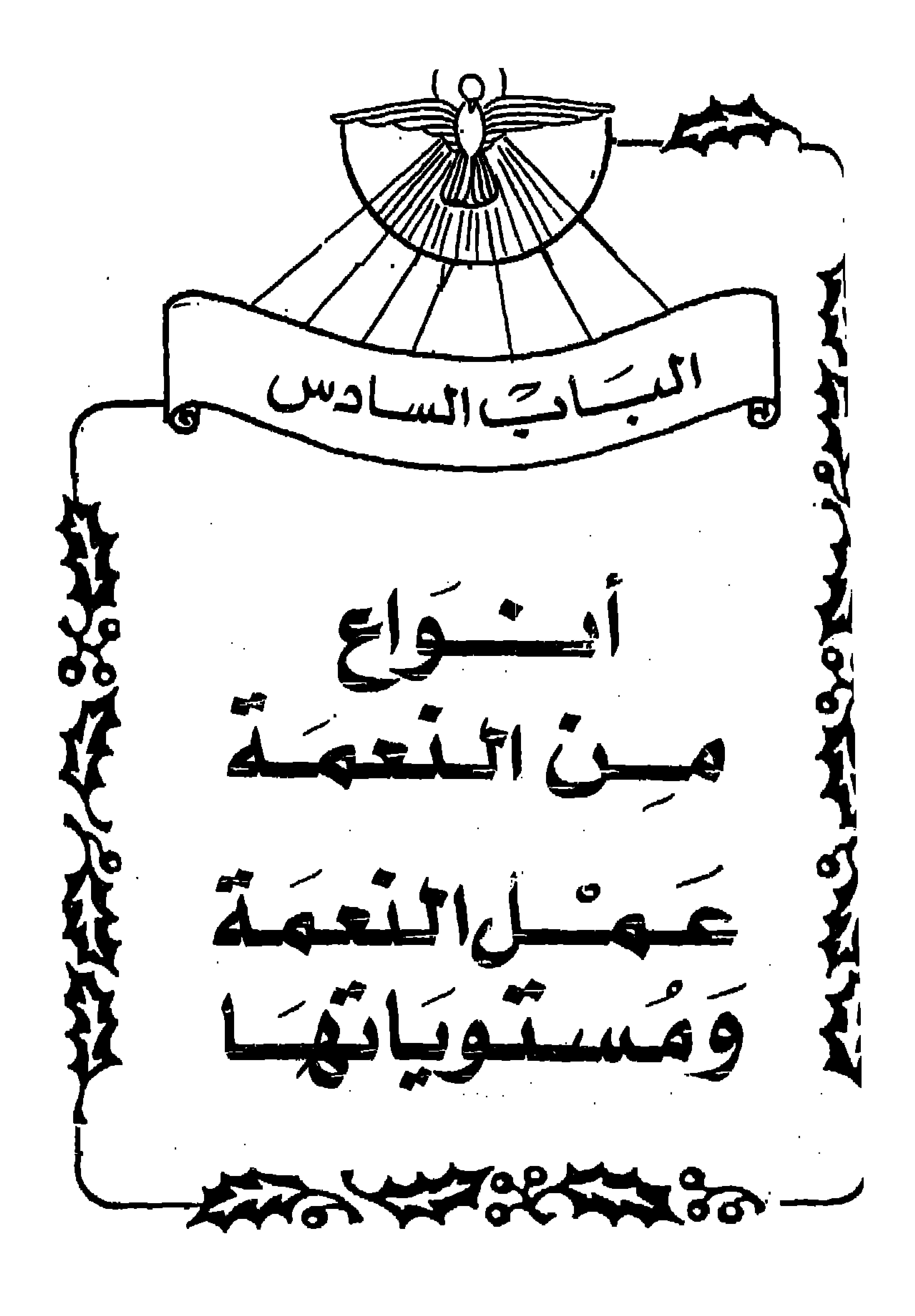
فرحكم كاملاً" (يو١٦: ٢٤) .

✠ ✠ ✠

الصلاة إذن تفتح لنا أبواب النعمة .

العيب إذن فينا ، لأننا لم نطرق بعد أبواب النعمة . فلنحاول أن نطرق بابها لنأخذ ...

فى بعض الأحيان تعمل النعمة لأجلنا دون أن نطلب . ولكن عندما يأتينا الخير، قد لا ننسبه إلى النعمة، إنما لمصادر أخرى!! أما إذا كنا نطلب، وتأتينا الإستجابة ، فحينئذ سنفرح بالرب ونشكره، وتتعمق علاقتنا به كأب يعطينا ما نطلبه .



الباب السادس

أنواع من النعمة
عمل النعمة ومستوياتها

أنواع من النعمة

هناك نعمة ظاهرة ونعمة خفية ..

النعمة الظاهرة هى التى نراها ونحسها فى حياتنا، ونلمس يد الله فى حياتنا وكيف أعانتنا وقوتنا .

أما النعمة الخفية فهى التى تعيننا دون أن ندرى ، أو تبعد عنا شراً قبل مجيئه إلينا، ونحن لا نعلم من أمره شيئاً .

أو قد نعرف هذه النعمة الخفية، ولكن لا نراها ...

ومن أمثلة هذه النعمة الخفية، النعمة التى تعمل فى أسرار الكنيسة وتهبنا ما لا نراه: كالبنوة والتبرير والمغفرة، والسلطان فى سر الكهنوت، وسكنى الروح فينا فى سر المسحة المقدسة (الميرون) .

✠ ✠ ✠

هناك نعمة تعطى لنا بغير استحقاق منا، ونعمة تعطى كمكافأة.

من أمثلة الأولى نعمة الوجود ، النعمة التى نلناها حينما خلقنا

الله، يضاف إليها نعمة أن نكون على صورة الله ومثاله (تك١: ٢٦، ٢٧). وأيضاً النعم الخاصة بالمواهب الطبيعية كأن يعطى الله لإنسان نعمة الذكاء أو الجمال أو الفن أو الحكمة والتدبير .

✠ ✠ ✠

أما النعمة التى يعطيها الله كمكافأة فمثالها ما وهبه الله لأيوب الصديق مكافأة على صبره واحتماله (أى٤٢) . وما وهبه لسليمان مكافأ له على أنه طلب الحكمة فقط، ولم يطلب لنفسه غنى، ولا طلب أنفس اعدائه (١مل٣: ١١- ١٣) .

✠ ✠ ✠

هناك أنواع أخرى من جهة عمل النعمة .

نعمة تعمل فينا من الداخل .. ونعمة تعمل خارجنا من أجلنا: تعمل فى الأوساط المحيطة بنا، وضد القوات المحاربة لنا ...

نعمة تعمل من أجل روحياتنا ، تقودنا للتوبة ، أو ترفعنا فى درجات المحبة الإلهية. ونعمة تهب المعجزات والآيات والقوات والعجائب .

وهكذا توجد نعمة تعطى ما هو فى حدود الطبيعة البشرية. ونعمة تعطى ما هو فوق الطبيعة .

✠ ✠ ✠

توجد نعمة تبدأ العمل فينا. ونعمة حينما نبدأ نحن ، تشترك

فى العمل معنا .

النعمة التى تبدأ ، هى التى تغرس فكراً معيناً فى أذهاننا، أو شعوراً معيناً فى قلوبنا، ليس مصدره من ذاتنا، إنما هو هبة من الله.

ومن أنواع النعمة التى تبدأ بالعمل، نعمة الدعوة ...

كالنعمة التى دعت شاول الطرسوسى دون أن يطلب أو يفكر. والمناخس التى كانت تنخسه دون أن يستجيب لها أولاً (أع٩: ١-٦) . والنعمة التى دعت بطرس وأندراوس وهما يصيدان السمك (مت٤: ١٨، ١٩). كذلك إنسان إسمه لاوى أو متى، كان جالساً فى مكان الجباية. لم يقل الكتاب إنه كان يصلى، أو فى حالة روحية. إنما كان فى وسط المال والخزائن والظلم. وبدأت معه النعمة بعبارة "إتبعنى" (مت٩: ٩) .

✠ ✠ ✠

النوع الثانى هو حالة إنسان يبدأ وتعينه النعمة .

يريد والنعمة تعطيه قوة . تنضم إليه النعمة، وتشاركه وتسنده . تعمل معه .

يبدأ الإنسان ثم يصرخ للرب قائلاً : اعنى فلست قادراً وحدى أن أعمل شيئاً. ويقول له الرب : لا تخف، أنا معك. ويمسك بيده

ويقوده فى الطريق .. يبدأ بأن يلقى شباكه فى البحر ، ولو يسهر الليل كله دون أن يصطاد شيئاً . ثم تفتقده النعمة، وترشده أن يلقى شباكه فى العمق (لو٥: ٤- ٦) .

✠ ✠ ✠

المهم أن يشترك الإنسان فى العمل مع النعمة .

سواء بدأ هو ، ثم أعانته النعمة واشتركت معه . أو بدأت النعمة معه، واشترك هو فى العمل معها ..

نقول هذا، لأنه لا يمكن أن يكون الكسل هو مقدمة لمعونة الله. لا الكسل ولا النوم ولا التهاون ولا التواكل . بل العمل مع الله بكل جهد ... أو بكل ما تمنحه النعمة من القوة ...

ابدأ إذن بأية بداية، مهما كانت ضعيفة أو ناقصة أو ضئيلة. وثق أن النعمة ستفتقدك وتقويك وتعمل معك . ولا تقل : سأنتظر ولا أبدأ إلى أن تأتى النعمة وتعمل . إن بدايتك هى إشارة إلى النعمة أن تأتى ...

✠ ✠ ✠

ومع ذلك فكثيراً ما تبدأ النعمة، حتى مع الذين لا يستجيبون .

مثل قول عروس النشيد "صوت حبيبى. هوذا آتٍ، طافراً على الجبال وقافزاً على التلال" (نش٢: ٨) . ومثل قولها أيضاً "صوت حبيبى قارعاً: افتحى لى يا أختى، يا حبيبتى، يا حمامتى، يا كاملتى.

لأن رأسى قد امتلأ من الطل، وقصصى من ندى الليل" (نش٥: ٢).
وكقوله أيضاً "هاأنذا واقف على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتى وفتح الباب، أدخل إليه وأتعشى معه وهو معى" (رؤ٣: ٢٠) .

✠ ✠ ✠

إن ميدان عمل النعمة شامل، وله أمثلة كثيرة :

منها قول القديس بولس الرسول "ليس أننا كفاه من أنفسنا أن نفتكر شيئاً كأنه من أنفسنا، بل كفايتنا من الله .." (٢كو٣: ٥) .

إذن حتى الفكر الطيب ، يقول عنه الرسول أن مرجعه هو الله. وكذلك الكفاءة على العمل. فنحن لا نملك هذه الكفاءة، بل هى من نعمة الله علينا.. يقول الرسول أيضاً :

"لأن الله هو العامل فيكم، أن تريدوا وأن تعملوا، من أجل المسرة" (فى٢: ١٣). إذن فالإرادة الصالحة هى من عنده . وعملنا أيضاً مرجعه إليه ، فهو العامل فينا .

بل إن الرسول يعتبر أن كل شئ حسن فينا، قد أخذناه من الله، أنعم به علينا. فيقول "أى شئ لك، لم تأخذه؟! وإن كنت قد أخذت ، فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ؟!" (١كو٤: ٧). لذلك فشعور الإنسان أن الخير الذى فيه يرجع إلى بشريته أو إلى ذاته، هو شعور يؤدى إلى المجد الباطل والافتخار البشرى! وهذا ترد عليه الآية القائلة "كل

عطية صالحة ، وكل موهبة تامة، هى من فوق نازلة من عند أبى الأنوار" (يع١: ١٧) .

✠ ✠ ✠

نستنتج من هذا : أن كل عمل صالح ، نعمله، إنما مصدره عمل النعمة فينا، أو على الأقل اشتراكنا مع عمل النعمة.

يؤيد هذا قول الرب "بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً" (يو١٥: ٥) . وقوله أيضاً "كما أن الغصن لا يقدر أن يأتى بثمر من ذاته، إن لم يثبت فى الكرمة ، كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فىّ" (يو١٥: ٤) . وهذا حق . لأن عصارة الكرمة تجرى فى عروق الغصن ، وتعطيه حياة، وتعطيه قدرة على الإثمار . وهو من ذاته – بدون الثبات فى الكرمة – لا يستطيع شيئاً، بل يجف ...

✠ ✠ ✠

النعمة تعمل فى البشر ، ولكن هناك وزنات متفاوته :

هناك من أعطى وزنة واحدة، ومن أعطى إثنتين ، ومن أعطى خمساً (مت٢٥: ١٤) "كل واحد على قدر طاقته" . إذن المواهب تتنوع، وليست واحدة فى عددها. وإنما "كما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان" (رو١٢: ٣) . ولذلك "لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا" (رو١٢: ٦) .

عطايا النعمة ليست واحدة للجميع. لأن الرب "أعطى البعض

أن يكونوا رسلاً، والبعض أنبياء، والبعض مبشرين، والبعض رعاة ومعلمين" (أف٤: ١١) . وهكذا أيضاً من جهة المواهب "أنواع مواهب موجودة ، ولكن الروح واحد" (اكو١٤: ٤) . 'فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد. والآخر إيمان بالروح الواحد . ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوات، ولآخر نبوة .. هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه، قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء" (اكو١٤: ٨- ١١) .

✠ ✠ ✠

وبهذا يختلف مقياس كل إنسان ، وتختلف قامته الروحية ...

والمفروض فى كل إنسان أن يصل إلى ملء قامته .

سواء كانت هذه القامة صغيرة أم كبيرة. وكمثال لذلك : لنفرض أن أمامنا أنواعاً من الأوانى متفاوتة فى حجمها وسعتها، وهى جميعاً ممتلئة تمثل البشر الذين قيل لهم "امتلئوا بالروح" (أف٥: ١٨). فالكل تساعده النعمة على الإمتلاء، مع تفاوت الوزنات. الكل يمتلئ حسب طاقته، وحسب قامته، وحسبما قسم الله لكل واحد نصيباً من الإيمان ...

كلنا أعضاء فى جسد واحد (اكو١٢: ١٢) . ولكن ليس كل إنسان رأساً، ولا الكل عيناً، ولا الكل ذراعاً. يتنوعون جميعهم

حسب تدخل النعمة ، وحسب ما تعطيه من مواهب ومن قدرات. ولكن المفروض أن يمتلئوا ، كل منهم حسب طاقته .

ولنعلم أن صاحب الوزنتين الذى ربح وزنتين ، نال نفس المكافأة والبركة مثل صاحب الخمس وزنات الذى ربح خمس وزنات (مت٢٥: ٢٠- ٢٣) .

✠ ✠ ✠

لهذا فيما نتكلم عن النعمة الإلهية ، ينبغى أن نذكر إلى جوارها الإرادة البشرية .

والإرادة البشرية تقوم بأعمال هى حرة فيها. فإن اتحدت إرادة الإنسان مع عمل النعمة فيه، تكون نتيجتها الخير فيما يعمل. أما إذا أنحرفت إرادته وانفصلت عن قصد النعمة فيه. فما أسهل أن يضيع ويهلك .

✠ ✠ ✠

لذلك فإن عبارة (كله بالنعمة) التى يقولها البعض، ليست عبارة دقيقة .

لو كان كل شئ بالنعمة ، ما أخطأ أحد، وما هلك أحد. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يكون الإنسان مسلوب الإرادة تسيره النعمة كما تشاء!! وهذا خلاف الواقع، وخلاف الإرادة الإلهية التى تركت للإنسان الحرية فيما يعمل ...

إن اتحاد إرادة الإنسان مع عمل النعمة فيه ، هو اتحاد اختيارى .

ولذلك بعد أن أعطى الله للشعب الوصايا فى سفر التثنية ، قال له : أنظر ، قد جعلت اليوم قدامك الحياة والموت، والبركة واللعنة. فاختر الحياة لكى تحيا أنت ونسلك، إذ تحب الرب إلهك وتسمع لصوته وتلتصق به" (تث٣٠: ١٩، ٢٠) .

لو كانت النعمة تعمل كل شئ، ما كان هناك لزوم ليوم الدينونة .

وإنما المحاسبة تدل على حرية الإختيار، وعلى أن النعمة لم ترغم أحداً على سلوك معين. ربما تدفعه إلى الخير. ومع ذلك تبقى إرادته حرة ، مثلما حدث مع لوط وأسرته . دفعهم الملاكان إلى خارج سدوم لإنقاذهما. وعلى الرغم من هذا، فإن إمرأة لوط اختارت لنفسها الهلاك فهلكت، وصارت عمود ملح" (تك١٩: ٢٦).

النعمة إذن تعمل . ولكن يتوقف عملها على مدى استجابة الإنسان أو رفضه لها .



ثلاثة مستويات لعمل النعمة

النعمة تعمل على ثلاثة مستويات: المستوى المـادى، والمسـتوى القيادى، والحالات الخاصة ...

فمن جهة المستوى المـادى : كل إنسـان ينـال نعمـة تسـاعده على الخلاص .

فمادام الرب قد قال "بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شـيئاً" ،يـو١٥: ٥) . إذن لابد أن نعمته تعمل فينا لكى نعمل .. تعمل فى الكل بـلا استثناء . كل إنسان تزوره النعمة، وتعينه النعمة. ولكن لا ترغمه .

مادام الله يريد أن الجميع يخصلـون وإلـى معرفـة الحـق يقبلـون "١تى٢: ٤)، إذن لابد أن يعطى الجميع ما يساعدهم علـى الخـلاص وعلى المعرفة، بمبدأ تكافؤ الفرص . وإلا فمـاذنب الذين لا ينـالون معونة من النعمة؟!

✠ ✠ ✠

أما الذين فى المستوى القيادى ، فإنهم ينالون قوة مضاعفة من النعمة .

نعمة لأجل نفوسهم، ونعمة لأجل عملهم القيادي. ويزداد قدر هذه النعمة بقدر ثقل المسئولية القيادية الملقاة على عاتقهم.

فالنعمة المعطاة لموسى النبى فى رعاية مئات الآلاف من الناس، وفى التعامل مع شعب معاند مقاوم (رو١٠: ٢١) ، هى طبعاً غير النعمة المعطاة لأحد الكهنة فى قرية هادئة.

والنعمة التى أعطيت ليونان النبى ليقود بها إلى التوبة إثنتى عشرة ربوة من الناس فى نينوى (يون٤: ١١) أى ١٢٠ الفاً، غير النعمة التى تُعطى لواعظ عادى .

وبازدياد النعمة، لا يكون هناك مجال للافتخار بالجهد الشخصى. لكي يكون فضل القوة لله وليس لنا (٢كو٤: ٧) .

✠ ✠ ✠

وكلما كانت تزداد صعوبة العمل القيادى أو خطورته، كان الله ينعم الله على القادة بالمواهب والمعجزات .

كما كان يحدث فى العصر الرسولى مثلاً، حيث كان إنتشار المسيحية فى أرجاء الإمبراطورية الرومانية الوثنية، ووسط عداوة اليهود .. كل ذلك كان يلزمه آيات وقوات وعجائب، كما كان يلزمه

التكلم بألسنة وترجمتها، وبخاصة فى تبشير شعوب تتكلم بلغات غريبة .

هكذا عملت النعمة بقوة عظيمة فى العصر الرسولى. ولولا ذلك ما انتشرت المسيحية إنتشاراً واسعاً جداً فى مدى زمنى قصير!

✠ ✠ ✠

أما عن الحالات الخاصة : فهناك حالات يزداد فيها عمل النعمة، وحالات تتخلى فيها النعمة تخلياً جزئياً أو كلياً .

يزداد عمل النعمة فى حالين : أحدهما إنتشار كلمة الله وحاجة الخدمة إلى قوة، سواء بالنسبة إلى بعض الخدام أو الكارزين أو الرعاة كما كان يحدث مع القديس بولس الرسول مثلاً "الذى قال "ولكن بنعمة الله أنا ما أنا. ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة. بل أنا تعبت أكثر من جميعهم . ولكن لا أنا بل نعمة الله التى معى" (اكو١٥: ١٠).

✠ ✠ ✠

أو قد يزداد عمل النعمة بالنسبة إلى الكنيسة كلها أو فرع من فروع أنشطتها. أما بالنسبة إلى الكنيسة ، فكما حدث فى عصر الآباء الرسل. كما قيل عنهم "وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع . ونعمة عظيمة كانت على جميعهم" (أع٤: ٣٣).

أما عن عمل النعمة بقوة فى فرع من فروع الكنيسة أو أنشطتها، فمثاله عمل النعمة مع الرهبنة فى القرن الرابع وفى القرن الخامس أيضاً من جهة انتشار الرهبنة وقوتها، وعدد المتوحدين والسوّاح والعموديين، والتاب القلوب بحب الوحدة والنسك. وكثرة الذين انتفعوا من قدوة الرهبان، ومن زاروهم وكتبوا عنهم..

كذلك عمل النعمة قبل ذلك مع مدرسة الإسكندرية اللاهوتية . وكيف صار إزدهار عظيم فيها وفى علمائها العظام الذين تركوا للمسيحية تراثاً تفتخر به الأجيال،.حتى أن الكنيسة القبطية درجت خلال فترة طويلة على اختيار بطاركتها من أساتذة ومديرى مدرسة الإسكندرية ...

البابُ السابع

مَدى تجاوبنا مَع النعمة

Our response

النعـــمة والخـــلاص

"اللـه يريـد أن الجميـع يخلصـون، وإلـى معرفـة الحـق يقبلـون" (اتى٢: ٤) . هكذا قال الرسول . ولكن هـل خلـص الجميـع؟! وإن لم يخص الكل ، فلماذا؟

مشيئة الله فى أن يخلص الجميـع، معهـا القـوة المنفـذة وهـى النعمة. ومعها أيضاً حرية مشيئة الإنسان .

فاللـه يريـد أن الجميـع يخلصـون ، ولكـن بإرادتهم ، بقبولهـم ورضاهم . ولا يرغمون على الخلاص إرغاماً ..!

✠ ✠ ✠

لقد أعطانا الرب على الصليب خلاصاً مجانياً، كما قال الكتـاب: "متبررين مجاناً بنعمته، بالفداء الذى بيسوع المسيح، الذى قدمه اللـه كفـارة بالإيمـان بدمـه" (رو٣: ٢٤، ٢٥). وهكـذا قـال أيضـاً "لأنكـم بالنعمـة مخلصـون، بالإيمـان. وذلـك ليـس منكـم . هـو عطيـة اللــه"

(أف٢: ٨) .

ومع ذلك ، فكثيرون لم ينالوا هذا الخلاص المجانى !!

نعمة الله قدمته لهم، ولكنهم رفضوه، بإرادتهم !!

✠ ✠ ✠

هنا نرى عدم تجاوب الإرادة البشرية مع نعمة الله التى تقدم خلاصاً مجانياً. هوذا المخلص قد جاء إلى خاصته . وخاصته لم تقبله ! (يو١: ١١) "النور أضاء فى الظلمة، والظلمة لم تدركه" (يو١: ٥) .. فلماذا ؟ لأن قلوبهم كان لها اتجاه آخر، اتجاه مضاد .. وهكذا يقول الكتاب "النور قد جاء إلى العالم. وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة" (يو٣: ١٩) .

إن النعمة تحمل إليك الخلاص. ولكن عليك أن تقبله .

وكما قال أحد القديسين عن حياة البر "إن الفضيلة تريدك أن تريدها، لا غير" . فإن أردت سوف تعمل فيك، وتكمل العمل كله...

النعمة لا تعمل وحدها

إن بدأ الإنسان ، تشترك العمل معه، تعينه وتقويه، وترشده طوال الطريق.. وإن لم يبدأ تحثه، ولكنها لا ترغمه. تثير فى قلبه اشتياقاً إلى الله وإلى عمل الخير . ولكن تبقى إرادته حرة تماماً فى أن تستجيب لعمل النعمة أو لا تستجيب ...

ما أعظم عمل النعمة وما أقواه . ولكـن النعمـة لا تلغـى الحريـة البشرية .

✠ ✠ ✠

حقاً إننا أدوات في يد الله . ولكننا أدوات عاقلة حرة مريدة ..

علينا أن نسلّم إرادتنا إلى يديه الطوباويتين، عـن اختيـار ، وفـى حب، وباقتناع، لكى يتمم بنا مشـيئته الصالحـة . لسـنا آلات جـامدة، وإنما كائنات حية. تعمل النعمة مع مشاعرنا ومع أفكارنـا وحواسـنا وأحاسيسنا. هى تحرك اختيارنا . ولكن بإرادتنا نقبـل تحريكهـا لنـا. فنشترك معها أو لا نشترك .

✠ ✠ ✠

لو كانت النعمة تعمل وحدها كل شئ، فما ذنب الخطاة ؟

هل نقول إن النعمة لم تعمـل فيهـم! كـلا، فـإن هـذا لا يتفـق مـع العدل الإلهى فى مبدأ تكافؤ الفرص ..!

أم نقول إن النعمة لم تعمل فيهم بقوة! أو إنها لـم تقـدر! حاشـا . وإنما عملت فيهم، ولكنهم رفضوا، فلم ترغمهم. فسقطوا ...

إن الله لم يـأخذ مـن الخطـاة موقفـاً سـلبياً ، وإنمـا هـم الذيـن أخذوا من نعمته موقفاً سلبياً .

✠ ✠ ✠

إننا لا نستطيع أن نقـول إن النعمـة لا تعمـل إلا فـى المختـارين!

كلا، فالنعمة تعمل فى الكل. ولكن المختارين صاروا مختارين، لأنهم قبلوا عمل النعمة فيهم، واشتركوا معها فى العمل. ولم يقاوموا مشيئة الله. بل قدموا إرادتهم فى تسليم كامل لعمل نعمته ...

إن الذين سقطوا، هم الذين لم يقبلوا عمل النعمة. لم يستجيبوا لها. لم يشتركوا معها فى العمل. بل ربما قاوموه ...

✠ ✠ ✠

إن النعمة تعمل فى الساقطين لكى يتوبوا ، إن استجابوا ...

أما إن رفضوا ، فسوف يستمرون فى سقوطهم، لا بسبب رفض النعمة لهم، إنما بسبب قساوة قلوبهم التى ترفض عمل الله فيهم ... ولذلك يقول القديس بولس الرسول أكثر من مرة "إن سمعتم صوته، فلا تقسوا قلوبكم" (عب٣: ٧، ١٥) .

نعم، إن النعمة تعمل فى الساقطين . ولولا عملها ما تاب أحد. سواء افتقدت هؤلاء الساقطينن أو هم تضرعوا فاستجيبوا، ونالوا قوة على التوبة. وفى ذلك يقول ماراسحق "من يظن أن هناك باباً آخر للتوبة - غير الصلاة - فهو مخدوع من الشياطين" .

✠ ✠ ✠

النعمة تعمل فى الساقطين فى مجالات متعددة :

تعمل فى العقل لكى تقوده إلى الإستنارة والمعرفة، وتنقذه من خطايا الجهل . وتعمل فى الإرادة والعزيمة، فتقويها وتُبعد عنها

التردد والضعف. بل تعمل النعمة أيضاً في إبعاد حروب شيطانية كثيرة عن هؤلاء الخطاة، أو تخفيف الحروب عنهم.. ولكن للأسف ما أكثر الخطاة الذين أحبوا الظلمة أكثر من النور ...

✠ ✠ ✠

النعمة عملت حتى فى يهوذا الخائن !!

ما أكثر التنبيهات والإنذارات التى وصلته من نعمة الابن الوحيد. وما أشد العقوبة التى تحدث عنها ليحذره قائلاً "ويل لذلك الرجل الذى يُسلِّم به ابن الإنسان. كان خيراً لذلك الرجل لو لم يُولد" (مت٢٦: ٢٤) .

ونتيجة لعمل النعمة "ندم يهوذا. وردّ الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً: قد أخطأت إذ أسلمت دماً بريئاً" (مت٢٧: ٣، ٤) . ولكن مشكلة يهوذا أنه لم يكمل مع النعمة، بل يئس وقتل نفسه.. أوقعه الشيطان فى اليأس، ولما يئس أجهز عليه...

فمن جهة عمل النعمة والعمل البشرى، ننصح بعدم التطرف .

لا تتطرف

البعض من حماسهم لأهمية النعمة، أنكروا العمل البشرى!!

وركزوا على النعمة قائلين (كله بالنعمة)! وجعلوا موقف

الإنسان سلبياً، كما لو كانوا يشجعون على الكسل، متحدثين عن العمل بكل تحقير!

ومن غير المعقول أن ننكر أهمية العمل، لأنه دليل على تجاوب الإنسان مع عمل النعمة واشتراكه معها. كما قال القديس بولس عن عمله هو وزميله أبلوس "نحن عاملان مع الله" "وكل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه" (اكو٣: ٩، ٨) . وبرهن بهذا على الشركة مع الله في العمل ...

✠ ✠ ✠

والبعض من حماسة للعمل ، يتناسى أو يتجاهل عمل النعمة!!

وكثير من هؤلاء لا يتحدثون عن النعمة! ولا يستخدمون هذه الكلمة في عظاتهم أو في كتبهم. وأمثال هؤلاء يوبخهم القديس بولس الرسول بقوله "..سقطتم من النعمة" (غل٤: ٤).

فما أكثر حديث القديس بولس عن النعمة، وما أكثر استعماله لهذه الكلمة في رسائله :

سواء في بدء رسائله أو في ختامها ، أو في حديثه عن النعمة المعطاة له (رو١٢: ٣) (غل٢: ٩) . والنعمة التي معه (اكو١٥: ١٠) . أو النعمة التي وهبت له من الله (رو١٥: ١٥). ويقول "لستم تحت الناموس بل تحت النعمة" (رو٦: ١٤). ويقول لتلميذه تيموثاوس "فتقوّ أنت يا ابني بالنعمة" (٢تي٢: ١) . ويقول له

"النعمة التى أعطيت لنا" (٢تى١: ٩).

ويتحدث عن "اختيار النعمة" (رو١١: ٥) وعن "عرش النعمة" (عب٤: ١٦)، وعن "روح النعمة" (عب١٠: ٢٩).. وعن ازدياد النعمة (رو٥: ٢٠) وكثرتها (رو٦: ١). وعن الرجاء بالنعمة (٢تس٢: ١٦) ...

☩ ☩ ☩

الوضع السليم بين التطرفين هو أن نعطى النعمة حقها، ونعطى العمل البشرى حقه.

النعمة هى صاحب العمل الأكبر . ولكن لا نغفل العمل البشرى، فى تجاوبه مع النعمة واشتراكه معها. فكثيرون هَلكوا بسبب تكاسلهم، أو بسبب رفضهم لعمل النعمة. أولئك الذين ينطبق عليهم قول الرب "كم مرة أردت .. ولم تريدوا. هوذا بيتكم يترك لكم خراباً" (مت٢٣: ٧، ٢٨) .

☩ ☩ ☩

والبعض يخطئ فى فهم قول الرسول "ليس الغارس شيئاً، ولا الساقى. بل الله الذى ينمى" (١كو٣: ٧) .

وطبعاً الله ينمى ما قد غُرس وسقى. إنما قال هذا لكى لا يهتم أحد بالعمل البشرى أكثر من عمل الله بنعمته..! وبالمثل عبارة "ليس لمن يشاء، ولا لمن يسعى، بل الله الذى يرحم" (رو٩: ١٦)..

وواضح أن الله يرحم من يشاء ومن يسعى. والرسول نفسه يقول "اسعى لعلى أدرك الذى لأجله أدركنى أيضاً المسيح .. اسعى نحو الغرض" (فى٣: ١٢، ١٤) . إنما المهم هو التركيز على عمل الله لأجلنا، وليس على مجرد مشيئتنا وسعينا..

✠ ✠ ✠

والبعض يفهم خطأً قول المزمور "إن لم يبن الرب البيت، فباطلاً تعب البناءون. إن لم يحرس الرب المدينة، فباطلاً سهر الحارس "(مز١٢٧) .

كما لو كان يعنى إننا لا نبنى ولا نحرس!! طبعاً علينا أن نعمل ذلك. فالرب قال "طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم، يجهدهم ساهرين" (لو١٢: ٣٧). وضرب لنا مثلاً بنحميا وهو يتعب هو ورجاله فى البناء وفى الحراسة (نح٤: ١٦، ١٧). إنما على الرغم من كل ذلك الجهد، كان الإعتماد الكامل على الله، الذى يحمى البناء والحراس .

حقاً إن الله هو الذى يبنى البيت. ولكن واجبك أنت أن تكون حجراً حياً فى يد الله يبنى به (١بط٢: ٥) . وأن تشترك مع الله فى البناء ..

وحقاً إن الله هو الذى يحرس المدينة. ولكن فيما يحرسك الله،

عليك أن تكون أميناً، فلا تخونه وتسمح بدخول الغرباء إلى مدينته المقدسة .

نتكلم بنفس المنطق عن جيش يشوع الذى كان يحارب عماليق ، ويدا موسى مرفوعتين فى الصلاة (خر١٧: ٨- ١٣).

وتم النصر بصلاة موسى وجيش يشوع. وهكذا اشتركت النعمة التى تنصر، وتستجيب الصلاة. مع الجيش الذى كان يحارب، نعمة الرب كانت تعمل . وكانت هى العامل الأساسى فى النصر. ولكن عمل النعمة لم يكن يعنى أن يتكاسل يشوع فى الحرب أو لا يحارب!!

كذلك انتصار داود على جليات كان بعمل النعمة.

كما قال داود "الحرب للرب، وهو يدفعكم فى يدى" (١صم١٧: ٤٥- ٤٧) . وعلى الرغم من ذلك تقدم داود الصفوف، ومقلاعه فى يده، وضرب، وانتصر ...

النعمة تعمل ، ومعها الإستجابة البشرية التى تشترك مع النعمة فى العمل .

✠ ✠ ✠

البعض يركز فقط على الإيمان بعمل النعمة ، ويقول "آمن <u>فقط</u>" !

وأقول هنا إن الإيمان نفسه هو عمل، وهو يحتاج إلى نعمة .. والعمل أيضاً يحتاج كذلك إلى نعمة . ولكن النعمة وحدها لا تشجع على الكسل. ومن أهمية العمل أيضاً أن يبعد الإنسان عن السلبيات التي تعطل نعمة الله التي تعمل لأجله .

☩ ☩ ☩

في مثل الوزنات ، وبخ الرب صاحب الوزنة الذي لم يعمل .

وبخه قائلاً له "أيها العبد الشرير والكسلان" ثم قال "والعبد البطال أطرحوه إلى الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاء وصرير الإسنان" (مت٢٤: ٢٦، ٣٠) .

مدى تجاوبنا مع النعمة

" ب "

الرافضون للنعمة

كم زارت النعمة بيوتاً كثيرة، ووجدت أبوابها مغلقة !!

وكم قرعت النعمة على الأبواب . ولكن الأبواب لم تفتح لها !!

فماذا كانت النتيجة ؟ قالت العروس "حبيبى تحول وعبر .. نفسي خرجت عندما أدبر. طلبته فما وجدته . دعوته فما أجابني (نش٥: ٦) . لم ترحب النفس بزيارة النعمة، فضاعت الفرصة منها.

وفى مرة أخرى ، إحدى مدن السامرة أغلقت بابها فى وجه الرب .

فقدت الفرصة في هذه المرة (لو٩: ٥٢، ٥٣) . ولكن الرب عاد فافتقد السامرة ودخلها فى مرة أخرى، ونالت نعمة الإيمان به

(يو٤: ٤٢) . حقاً إن النعمة لا تيأس من خلاص الخطاة . قد يرفضون فتتابعهم ..

✠ ✠ ✠

كم من أناس زارتهم النعمة ، فلم يشعروا بها . أو شعروا وأهملوا !!

النور أضاء فى الظلمة ، والظلمة لم تدركه (يو١: ٥) . أو أن الناس "أحبوا الظلمة أكثر من النور" (يو٣: ١٩) "إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله" (يو١: ١١) .

أنت بلا عذر أيها الإنسان . فالنعمة تأتيك ..

ولكن الأمر يتوقف عليك. تدرك مجيئها أو لا تدرك . تقبلها أو لا تقبل . تفتح لها قلبك أو لا تفتح. تعمل معها أو لا تعمل . إن أمرك فى يدك . لك الحق أن ترفض . ولكنك قد تندم، وتقول "حبيبى تحول وعبر. نفسى خرجت عندما أدبر" ...

✠ ✠ ✠

النعمة افتقدت اللص على الصليب فى آخر ساعات حياته .

فقبلها ، وفتح قلبه لها ، وآمن واعترف بإيمانه . وصرخ قائلاً "أذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك" (لو٢٣: ٤٢) . بعكس زميله الذى كان معلقاً معه . وظل يجدف حتى هلك ... ولم يستجب كزميله الذى تأثر بما كان يحدث ..!

النعمة انتشلت أناساً كانوا كجمرات مشتعلة فى النار (زك٣: ٢). افتقدتهم النعمة. قد كادوا أن يحترقوا، ولكن النعمة أنتشلتهم فى آخر فرصة. عملت من أجلهم بقوة. وما كانوا يعملون لأجل أنفسهم.

✠ ✠ ✠

النعمة افتقدت شاول الطرسوسى ، وما كان هو يطلب النعمة !

قال له الرب "صعب عليك أن ترفس مناخس" (أع٩: ٥) . وماذا كانت تلك المناخس سوى النعمة التى كانت تنخسه فيقاومها . بعكس اليهود يوم الخمسين الذين "نخسوا فى قلوبهم" (أع٢: ٣٧) فاستجابوا وقالوا للرسل "ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة؟" وتعمدوا .. على أن شاول لم يعد يقاوم أكثر ، بل قال للرب فيما بعد نفس العبارة "ماذا تريد يارب أن أفعل؟" (أع٩: ٦) .

عمل من النعمة ، أن تنخس القلوب، فتتأثر .

حتى إن رفست هذه المناخس زمناً ، تعود فتستجيب ...

قد تأتى النعمة لإنسان يطلبها مثل كرنيليوس قائد المئة (أع٢: ١٠). وقد تأتى لإنسان لا يطلبها مثل شاول الطرسوسى . وتعمل ى كل منهما لخلاص نفسه .

✠ ✠ ✠

ولكن النعمة - كما قلنا - لا ترغم أحداً على عمل الخير .

النعمة لم ترغم الناس أيام نوح على الدخول إلى الفلك ليخلصوا.. ولم ترغم أهل سادوم على الخروج من المدينة قبل حرقها .. ولم ترغم يونان على الطاعة . ولم ترغم يهوذا على أن يكون أميناً لمعلمه وسيده ..

لم تمنع الأشرار من فعل الشر . ولم ترغم أحداً على فعل الخير. بل إن كثيرين نالوا نعمة بوفرة وسقطوا، وبعضهم هلكوا !!

نالوا نعمة وسقطوا

❋ أسوأ مثل هو الشيطان ، الذى نال فى خلقه نعمة جبارة ، وهلك !

قال عنه الكتاب إنه "الكاروب المنبسط المظلل" بل قال له "أنت خاتم الكمال. ملآن حكمة وكامل الجمال" "أنت كامل فى طرقك من يوم خُلقت" (حز٢٨: ١٣- ١٥). وكان قوياً وُصف بأنه "قاهر الأمم" . ولما سقط قال له الوحى الإلهى "الذين يرونك، يتطلعون إليك.. أهذا هو الرجل الذى زلزل الأرض وزعزع الممالك؟!.." (أش١٤: ١٢، ١٦) .

ومع ذلك هلك هذا الذى نال قدراً كبيراً من النعمة ، فيما وُهب من جمال وكمال وقوة وحكمة. لأن إرادته أنحرفت ، وأسقطته كبرياؤه..

⌘مثل آخر هو شاول الملك :

كان أول من مُسح ملكاً بالزيت المقدس ، وحلّ عليه روح الرب فتنبأ، حتى قيل "أشاول أيضاً بين الأنبياء؟!" .. كان الرب قد "أعطاه قلباً آخر" (١صم١٠: ٩- ١٢) .. ولكن شاول سلك في استقلال عن الله. ولم يستخدم النعمة التي وُهبت له استخداماً سليماً. فكانت النتيجة أن الرب قد رفضه . "وفارق روح الرب شاول، وبغته روح ردئ من قبل الرب" (١صم١٦: ١، ١٤) .

⌘ ⌘ ⌘

⌘مثل ثالث هو شمشون :

أختاره الرب قبل أن يولد ، ليكون نذيراً للرب ومخلصاً للشعب من أعدائه. وحل عليه روح الرب وكان يحركه (قض١٣) . ومنحه قوة مذهلة . كل هذا كان من عمل النعمة فيه . لكنه لم يسلّم نفسه لعمل النعمة ، بل سلّمها لإمرأة أحبها، فخانته وسلّمته إلى أيدى أعدائه فأذلوه . ولكن النعمة عادت وافتقدته مرة أخرى في آخر حياته (قض١٦) . وكتبه بولس الرسول ضمن رجال الإيمان (عب١١: ٣٢) .

⌘ ⌘ ⌘

⌘مثل رابع هو سليمان الحكيم :

وهبته نعمة الله حكمة لم توهب لأحد من قبل ، حكمة من فوق.

ومعها غنى وكرامة . فلم يكن مثله ملك من كل الموك فى أيامه (١مل٣: ١٢، ١٣) . وأيضاً أعطاه الله "فهماً كثيراً، ورحبة قلب كالرمل الذي على شاطئ البحر (١مل٤: ٢٩) . وتراءى له الله مرتين (١مل٩: ٢) . وكانت الفضة فى أورشليم فى أيامه مثل الحجارة من الكثرة. (١مل١٠: ٢٧) .

فماذا كان موقف سليمان من كل هذه النعمة التى أحاطت به؟ .. يقول الكتاب "وكان في زمان شيخوخة سليمان، أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى. ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتاروت ألهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشرّ فى عينى الرب.." (١مل١١: ٤- ٦) . فعاقبه الله. وكما قال عنه من قبل لداود أبيه "إن تعوّج ، أؤدبه بقضيب الناس وبضربات بنى آدم. ولكن حتى رحمتى لا أنزعها منه كما نزعتها من شاول .." (٢صم١٤، ١٥) .

وهكذا افتقدته النعمة فى أواخر أيامه . فتاب وشعر بأن العالم كله باطل وقبض اريح، كما كتب فى سفر الجامعة (جا١: ٢) (جا٢: ١١) .

✠ ✠ ✠

✠مثال خامس : الذين أخذوا موقفاً مضاداً من عمل الروح فيهم .

الذين كان لهم حرارة من الروح فأطفأوها . بينما الكتاب يقول " لا تطفئوا الـروح" (تس٥: ١٩) . وبخطاياهم "أحزنوا الـروح" (أف٤: ٣) . وكاليهود الذين قال لهم القديس اسطفانوس الشماس "أنتم دائماً تقاومون الروح القدس. كما كان آباؤكم كذلك أنتم" (أع٧: ٥١) . أما الذين يجدفون على الروح القدس ولا تكون لهم مغفرة (مر٣: ٢٩)، فهم الذين يرفضون نعمة الروح وعمله فيهم رفضاً كاملاً مدى الحياة ..

✠ ✠ ✠

لهذا لا نستطيع أن نقول إن النعمة هى كل شئ ، ونغفل الإرادة البشرية!!

كالذين يقولون "كله بالنعمة" .. كما لو كان الإنسان مسلوب الإرادة! أو كان موقفه سلبياً تماماً . فالنعمة عملت فى كثيرين ، ثم هلكوا نتيجة لإنحرافهم بإرادتهم منفصلين عن عمل النعمة. مثل ديماس الذى ساعدته النعمة أن يكون أحد العاملين مع القديس بولس الرسول (كو٤: ١٤) . ثم تركه إذ أحب العالم الحاضر (٢تى٤: ١٠) .

✠ ✠ ✠

لو كانت النعمة تعمل كل شئ، ما سقط أحد ، وما هلك أحد .

ولو كانت النعمة تعمل كل شئ ، ما كان هناك سبب لمكافأة

الأبرار، لأنهم لم يعملوا شيئا .. إذن لابد أن نضع فى عمل البر، اتحاد الإرادة البشرية مع عمل النعمة والإشتراك مع النعمة فى العمل .. لأن البعض لا يستجيبون للنعمة.

أمثلة لعدم الاستجابة

السيد المسيح عمل معجزات عجيبة جداً لم يعملها أحد من قبل . وبسبب هذه المعجزات عملت النعمة في البعض فآمنوا. ولكن البعض لم يستجيبوا لعمل النعمة. ولم يكتفوا بأنهم لم يؤمنوا ، بل بالأكثر قاوموا ...

*مثال ذلك منح البصر للمولود أعمى. عملت النعمة فيه فآمن ودافع عن السيد المسيح. بينما لم يستجب الفريسيون للنعمة التى عملت فى المعجزة . وقالوا مجدفين على السيد "هذا الإنسان ليس من الله، لأنه لا يحفظ السبت" "نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطئ" (يو٩: ١٦، ٢٤) .

*ونفس الوضع بالنسبة إلى إقامة لعازر من الموت .. كانت النعمة تعمل وهكذا يقول الكتاب "فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم ونظروا ما فعل يسوع آمنوا" . ومع عظمة المعجزة ، لم يستجب رؤساء اليهود لعمل النعمة . بل يقول الكتاب "فجمع رؤساء

الكهنة والفريسيين مجمعاً. وقالوا ماذا نصنع، فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة. إن تركناه هكذا، يؤمن الجميع به .." "ومن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه.." (يو ١١: ٤٥- ٥٣) .

كان الحسد الذى فى قلوبهم يمنع عمل النعمة فيهم .

✠ ✠ ✠

✠مثال آخر ، وهو ظهور العذراء بنور عظيم على قباب كنيستها فى حيّ الزيتون بالقاهرة سنة ١٩٦٨، وحدوث معجزات كثيرة . استجاب البعض فآمنوا، ومجدوا الله .. والبعض ظلوا يبحثون الظهور علمياً . وبعض آخر قبلوا النعمة فترة، ثم عادوا وفتروا . ولم يتركوا عمل النعمة يستمر فى قلوبهم .

✠ ✠ ✠

ما أعجب قول أبينا ابراهيم لغنى لعازر حينما طلب ذهاب لعازر لكى يبشر أقاربه، فلا يكون لهم نفس مصيره فى العذاب . حينئذ قال له أبونا ابراهيم :

"ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون" (لو١٦: ٣١) .

هؤلاء بلاشك عندهم عوائق فى قلوبهم وأذهانهم ، تمنع أى عمل للنعمة فيهم.. وإن بدأت تعمل، لا يستجيبون لعملها! .

✠ ✠ ✠

أثناء صلب السيد المسيح "حجاب الهيكل انشق إلى إثنين..

والأرض تزلزلت ، والصخور تشققت، والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين" (مت٢٧: ٥١، ٥٢) . فآمن اللص اليمين (لو٢٣: ٤٢) كذلك فإن "قائد المائة والذين كانوا معه يحرسون يسوع، لما رأوا الزلزلة وما كان، خافوا جداً وقالوا: حقاً كان هذا إبن الله" (مت٢٧: ٥٤) .

أما رؤساء الكهنة والفريسيون فلم يتأثروا ولم يؤمنوا . بل على العكس من هذا ذهبوا إلى بيلاطس وقالوا له "يا سيد ، قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو بعد حيّ إنى بعد ثلاثة أقوم. فمُر بضبط القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتى تلاميذه ليلاً ويسرقوه ، ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات. فتكون الضلالة الأخيرة أشرّ من الأولى" (مت٢٧: ٦٢-٦٤) .

وهكذا وصفوه بأنه مضل، وأن عمله السابق كان ضلالة، على الرغم من المعجزات التى حدثت أثناء صلبه، التى بسببها آمن قائد المائة والذين معه !!

لم يكن لديهم استعداد داخلى لعمل النعمة فيهم .

كان حقدهم على الرب ، وخوفهم من معجزاته ، وخوفهم من ضياع مراكزهم ، يمنعهم من قبول عمل النعمة فيهم، مهما حدث من معجزات!!

إنهم مثل واضح للقلب القاسي الرافض لعمل النعمة فيه ..

✠ ✠ ✠

هذه النعمة التي تعمل في الكل ، ألا يأتي وقت تتخلى فيه عن العمل في البعض تخلياً جزئياً أو كلياً ؟ بحيث نقول عن أمثال هؤلاء أنهم مرفوضون من النعمة؟! مثلما حدث لشاول الملك الذي قال عنه الرب : "وأنا قد رفضته" (١صم١٦: ١) .

فمتى تتخلى النعمة ؟ ولماذا ؟

ومتى يتخلى الإنسان عن النعمة ؟

وما معنى قول الكتاب عن الرب إنه "قسّى قلب فرعون؟



البَابُ الثامن

تخلّي النعمة ومعنى تقسية قلب فرعون

تخلّى النعمة

إنها فترات من التخلى الجزئى للنعمة ، تعلمنا فيها دروساً روحية نافعة لنا .

تعلمنا ألا نتهاون حينما تزورنا النعمة، بل نستجيب لنا لئلا تتركنا فنندم .

وتعلمنا الإتضاع والشعور بضعفنا ، حينما تتخلى عنا فنسقط . فندرك أن قيامنا السابق لم يكن بقوتنا الذاتية، إنما بعمل النعمة فينا .

تعلمنا أيضاً الشفقة على الساقطين ، لأننا كلنا تحت الآلام (يع٥: ١٧). وكلنا عرضة للسقوط إن تخلت النعمة عنا ولم تعن ضعفنا . وفى ذلك يقول الرسول :

"أيها الأخوة ، إن انسيق إنسان فأخذ فى زلة، فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة. ناظراً إلى نفسك لئلا تجرب أنت أيضاً" (غل٦: ١) .

والتخلى يعلمنا أيضاً الصلاة بلجاجة ، لكى يعود الرب إلينا،

ويشرق بوجهه علينا فنخلص .. كما يعلمنا الصبر ، وانتظار الرب...

وهذا التخلى يعلمنا أيضاً حياة الحرص والتدقيق ، حتى إذا قمنا من سقطتنا ، نكون أكثر احتراساً فيما بعد ...

على أن تخلى النعمة ، هو تخلٍّ مؤقت ، لأننا لا نحتمل إطلاقاً بعد الرب عنا، لذلك قال للنفس البشرية :

"لحيظة تركتك ، وبمراحم عظيمة سأجمعك" (أش٥٤: ٧) .

يقول (لحيظة) أى جزء من لحظة ، لأننا لا نحتمل تخلى النعمة لحظة . مع أن النعمة ترقبنا أثناء تخليها لكى يكون هذا التخلى لفائدتنا .

✠ ✠ ✠

أسباب تخلّى النعمة

النعمة إذن قد تتخلى أحيانا عن الإنسان لأجل منفعته . فيسقط ويستفيد من سقوطه . كما يحدث مع الذين يقعون فى الكبرياء أو المجد الباطل .

وذلك كما قال الكتاب "قبل الكسر الكبرياء. وقبل السقوط تشامخ الروح" (أم١٦: ١٨). هؤلاء الذين يتكبرون بسبب مواهب لهم، أو تفوق أو نجاح، ظانين أن هذا بسبب قوتهم وليس بسبب النعمة

العاملة معهم ... يسمح الله أن تتخلى نعمته عنهم فيسقطون . فحينئذ يشعرون بضعفهم فيتضعون. وإن كانوا فى تشامخهم قد أدانوا غيرهم أو احتقروه، فإنهم فى سقطتهم لا يدينون فيما بعد، بل يعطفون على الساقطين لأنهم جربوا السقوط .

وهكذا إذ يتضعون فى سقوطهم ، تعود إليهم النعمة مرة أخرى.

وتكون النعمة هى التى عملت فيهم وقادتهم إلى الإتضاع .

✠ ✠ ✠

وهكذا نرى أن تخلى النعمة هنا، كان تخلياً جزئياً. كالأم التى تعمل إبنها المشى. فتقوده ثم تتخلى عنه قليلاً فيقع ويجاهد ليقوم. وهكذا تشتد عظامه. ولو أن الأم حملت طفلها باستمرار، لأصيب بلين العظام .. فيكون التخلى بنوع من السياسة والتدبير لتعليم الطفل كيف يمشى ...

وبالمثل الأب الذى يعلم إبنه العوم: يحمله على يديه فى الماء، ثم يتركه ويرقبه، لكى يحرك يديه وقدميه ويتعلم السباحة. فإن رآه فى خطر، يعود إليه ...

ومثال مشابه : النسر حين يعلم صغاره الطيران ...

✠ ✠ ✠

النعمة إذن تتخلى جزئياً ، للفائدة وليس للإهلاك. تتلخلى

بسبب الكبرياء أو بسبب التدريب . أما إن هلك إنسان: فإن ذلك يكون بسبب رفضه هو للنعمة، وليس بسبب رفض النعمة له ...

✠ ✠ ✠

وقد تتخلى النعمة حيناً عن المتراخين فى روحياتهم بإهمال ولا مبالاة. حتى إذا سقطوا بسبب تهاونهم ، يصرخون إلى الله ويطلبونه بكل قلوبهم .. فتعود إليهم حرارتهم ، وتعود إليهم النعمة.

ومن أمثلة ذلك عذراء النشيد :

قرع الرب على بابها قائلاً "افتحى لى يا أختى، يا حبيبتى ولا كاملتى. فإن رأسى قد امتلأ بالطل، وقصصى من ندى الليل" . ولكنها لم تفتح له، وتكاسلت وقدمت عذراً وتبريراً لتكاسلها. فما الذى حدث بعد ذلك؟ قالت "حبيبى تحول وعبر.. طلبته فما وجدته دعوته فما أجابنى" (نش٥: ٢- ٦) . هنا التخلى واضح كنتيجة للتكاسل. ولكن هذا التخلى الجزئى ألهب مشاعر هذه العروس، فخرجت تطلب حبيبها وهى مريضة حباً .

✠ ✠ ✠

وقد تتخلى النعمة بسبب رفض الإنسان لها واستمراره فى الخطأ أو الخطيئة أو فى الفساد .

وعن مثل هؤلاء ، قال القديس بولس الرسول "وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم، أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض

ليفعلوا ما لا يليق" (رو ١: ٢٨) . فما معنى كلمة "ذهن مرفوض" هنا؟

معناها ذهن مرفوض من النعمة، ترفض النعمة أن تعمل فيه. وهذه حالة أصعب بكثر جداً من حالة التخلى ... قد تكون لوناً من التخلى العام .

✠ ✠ ✠

تتخلى النعمة أيضاً بسبب قساوة القلب .

القلب القاسى الذى لا يستجيب لصوت الله، ويصرّ على عدم الإشتراك مع النعمة فى العمل. هذه الحالة التى حذّر الرسول منها بقوله "إن سمعتم صوته، فلا تقسوا قلوبكم.." (عب٣: ٧، ١٥) .

قال هذا عن الشعب الذى أسخط الرب فى البرية. فمنعه الرب من دخول أرض الموعد، هؤلاء الذين سقطت جثثهم فى القفر، ولم يدخلهم الرب إلى راحته (عب٣: ١٧، ١٨) .

ومادمنا قد وصلنا إلى نقطة قساوة القلب هذه، فلنضع أمامنا مثالاً مشهوراً ، وهو قساوة قلب فرعون : فلنبحث هذا الأمر لنعرف معنى عبارة :

"قسّى الله قلب فرعون" (خر٧: ٣) .

تقسية قلب فرعون

كان قلب فرعون قاسياً من ذاته، مقاوماً لكل عمل النعمة ...

كان قاسياً فى تعامله مع الناس وفى تعامله مع الله .

كان قاسياً بطبعه ، وليس الله الذى قسّاه .

كان قاسياً على الشعب فى أعمال السخرة . ولما طلبوا منه الرفق بهم، أزاد نيره عليهم ثقلاً، وقال لهم "متكاسلون أنتم متكاسلون" (خر٥: ١٧) .

وقسّى قلبه فلم يسمع لصوت الرب، ولم يستفد من كل العجائب التى أجراها الرب على يد موسى النبى. ومع ذلك لم يتركه الرب..

✠ ✠ ✠

كانت النعمة تعمل فى قلبه، فيعرف بخطئه، ويطلب المغفرة، ويعد بأن يسلك حسناً. ثم يرجع قلبه إلى قسوته فلا يفى بما وعد به ..

فى ضربة الضفادع ، "دعا فرعون موسى وهارون وقال: صليا إلى الرب ليرفع الضفادع عنى وعن شعبى، فاطلق الشعب ليذبحوا للرب" (خر٨: ٨) ... إن طلبه للصلاة هو من عمل النعمة فيه. وإيمانه بأن الرب قادر على رفع ضربة الضفادع عنه، هو أيضاً من عمل النعمة . واستجابة الرب لطلبه هو أيضاً من عمل النعمة.

وبعد ذلك يقول الكتاب "فلما رأى فرعون أنه قد حصل على الفرج، أغلظ قلبه ولم يسمع لهما" (خر٨: ١٥) .

وبعد ضربة الذبان قال فرعون "أنا أطلقكم .. صليا لأجلى" .. ولما رفع الرب الضربة "أغلظ فرعون قلبه هذه المرة أيضاً فلم يطلق الشعب" (خر٨: ٢٨، ٣٢). فلماذا حدث كل هذا؟ هل لأن الرب قسّى قلبه؟! كلا .

✠ ✠ ✠

بل كانت هناك شهوة في قلب فرعون، في الإحتفاظ بهذه العشرات من آلاف العبيد لتخدمه بالسخرة فى أعمال ملكه . وهذه الشهوة قست قلبه .

فكلما كانت يفكر فى طاعة الرب، وفى الخوف من ضربات الرب وانذاراته، كانت شهوته فى الإحتفاظ بالعبيد تقف حائلاً بينه وبين التوبة، وتقسى قلبه.. إذ كيف يمكنه التخلىعن كل هؤلاء؟ لذلك لم يستجب للرب على صوت موسى وهارون. وتكررت القصة مراراً: يعترف بخطئه، ويعد ولا يفى ...

ففى ضربة البرد "دعا موسى وهارون وقال لهما "أخطأت هذه المرة. الرب هو البار، وأنا وشعبى الأشرار. صليا إلى الرب. وكفى حدوث رعود الله والبرد" "ولكن فرعون لما رأى أن المطر

والبرد والرعود انقطعت ، عاد يخطئ، وأغلظ قلبه هو وعبيده. واشتد قلب فرعون" (خر ٩: ٢٧- ٣٥) .

✠ ✠ ✠

نلاحظ فى كل النصوص السابقة، أن فرعون هو الذى أغلظ قلبه فما معنى أن الرب قسّى قلب فرعون؟ معناه كالآتى :

لما رأى الله عدم إستجابة فرعون إلى كل أعمال نعمته، تركه الرب إلى قساوة قلبه، أى تخلّت عنه النعمة، فتصرف بقساوة قلبه، وأغلظ قلبه .

يذكرنى هذا بقول الرب المزمورعن بنى إسرائيل أيضاً "فلم يسمع شعبى لصوتى. وإسرائيل لم يرضَ بى. فسلّمتهم إلى قساوة قلوبهم ، ليسلكوا فى مؤامرات أنفسهم" (مز ٨١: ١١، ١٢) .

✠ ✠ ✠

ويذّكرنى هذا أيضاً بقول الكتاب عن الفسقة الشواذ : "..وكما لم يستحسنوا أن يبقوى الله فى معرفتهم، أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض، ليفعلوا ما لا يليق" (رو ١: ٢٨) .. أى أنه أسلمهم إلى ذلك الذهن المرفوض من النعمة، الذى رفضت النعمة أن تعمل فيه، لإصراره على فساده، وإصراره على عدم الشركة مع النعمة فى العمل .

✠ ✠ ✠

إذن تقسية قلب فرعون، معناها تخلى النعمة عنه .

ولما تخلت النعمة عنه، انكشف ما فى قلبه من قساوة .

فقول الرب "اقسى قلب فرعون" (خر٧: ٣) معناه: تتخلى نعمتى عنه، فتظهر القسوة التي في قلبه ...

وسبب تخلى النعمة عنه، هو أنه رفض النعمة التى عملت لأجله فى كثير من العجائب، وفى استجابة الصلوات ورفع الضربات .

✠ ✠ ✠

فلم تكن قسوة القلب شيئاً جديداً عليه، ولم تأتِ إليه من خارجه .

ولا تؤخذ عبارة "أقسى قلب فرعون" بالمعنى الحرفى، وإنما بالمعنى الروحى، كما شرحنا ..

بل هو كان قاسياً ، وتركه الرب إلى قسوته .

وقد صبر الرب عليه طويلاً . ولكنه اتخذ طول أناة الرب مجالاً للإستهتار بوعوده .. حتى فى آخر لحظة ، بعد أن أطلق الشعب فعلاً، سعى وراءهم حتى البحر الأحمر .

هذا القلب القاسى . أسلمه الرب إلى طبعه القاسى .

أخيراً يا أخوتى ، أود أن أقف معكم قليلاً هنا فى موضوع النعمة هذا. وهناك باب عن [الجهاد والنعمة] نشرته لكم فى كتابى [الخلاص فى المفهوم الأرثوذكسى]. يمكن أن تضيفوه إلى معلوماتكم عن النعمة .



الباب التاسع
بين
الناموس
والنعمة

نود أن نتكلم عن الحياة الروحية ما بين الناموس والنعمة .

الناموس مأخوذ من كلمة يونانية Nomos بمعنى قانون أو شريعة .

فالناموس بهذا المعنى هو مجموع الوصايا والأوامر التى أعطاها الله للبشر .

وقد ورد فى الإنجيل لمعلمنا يوحنا البشير "الناموس بموسى اعطى، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" (يو ١: ١٧) .

ونود أن يكون لنا تأمل فى هذه النقطة بالذات، لنرى كيف كانت مسيرة العالم ما بين الناموس والنعمة؟ وما هو موقع حياتنا الآن ؟

✠ ✠ ✠

لقد قدم موسى للناس شرائع ، ولكن من البدء لم يكن هكذا :

لقد خلق الله الإنسان بطبيعة نقية طاهرة، لا تحتاج لقوانين، لكيما تحكمها أو ترشدها .

وبعد أن عرفت الوصية ، عرفت معها الخطية .

✠ ✠ ✠

يوسف الصديق رفض أن يقع فى الزنا، ولم تكن هناك وصية تقول لا تزن . لقد جاءت هذه الوصية بعد ذلك بأكثر من ٥٠٠ سنة.

الإنسان المحتاج إلى وصايا ، هو شاهد على نفسه إنه جاهلن لا يعرف بعد الطريق . أما البار ، فينطبق عليه قول الشاعر :

إذا كنت فى حاجة مرسلا فارسل حكيماً ولا توصه

✠ ✠ ✠

الحكيم لا يحتاج إلى وصية ترشده، فحكمته تكفى .

ولما فقد الناس الحكمة ، أعطاهم الرب الوصايا العشر ، ثم أعطاهم وصايا عديدة جداً، أدبية وطقسية واجتماعية، إمتلأت بها أسفار الخروج واللاويين والتثنية .. مجموعة ضخمة من الأوامر والنواهى .

✠ ✠ ✠

ولم تصلح حياة الإنسان بالناموس . بل صار الناموس شاهداً عليه . كان فى حاجة إلى الطبيعة الجديدة ، إلى القلب النقى ، الذى يحب الخير بطبيعته ، من غير أوامر ووصايا.

وهنا نسأل : ما هى مشكلتنا فى التوبة ؟ ما هى العوائق ؟

المشكلة هى أن الإنسان لا يعمل الخطية ، خوفاً من الوصية .
ولكن الخطية فى أعماقه يحبها، حتى أنه إن لم تكن هناك وصية ،
لغرق فى الخطية إلى أعماقه .

✠ ✠ ✠

ومن هنا كان الخير خارجاً عنه ، وليس فى داخله .

الخطية مالكة لقلبه . ولإرادته . ولكن عقله يقول له إن هناك
وصية وعقوبة لمن يخالفها. لهذا يدخل الإنسان فى صراع مع
الوصية، لأن القلب من الداخل لم يتنقَ، ولم يصل إلى محبة الله ولا
إلى محبة الفضيلة. مازال محتاجاً إلى ضوابط من الخارج ...

✠ ✠ ✠

ولكن السيد المسيح أعطانا وصية جديدة ، هى المحبة .

تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل فكرك.. وتحب قريبك
كنفسك ، بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء (مت٢٢) .

فكيف يصل الإنسان إلى هذه المحبة التى يتعلق بها الناموس كله
والأنبياء؟ يصل إليها عن طريق النعمة فيه. بالروح القدس ، كما
يقول الرسول "لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس
المعطى لنا" (رو٥:٥) .

فإذا وصلت إلى هذه المحبة، لا تحتاج إلى ناموس .

✠ ✠ ✠

إننا نعيش فى لجة ضخمة من الوصايا ، من الأوامر والنواهى. فى الحلال والحرام، ما يجوز وما لا يجوز.. وهناك من ينفذون الوصايا، بطريقة ناموسية، حرفية فريسية، يهتمون فيها بالشكل وليس بالروح .. كمن ينفذ جدولاً روحياً . ويضع علامات من أجل تنفيذ بنوده ، وليس من أجل الحب، وإنما تنفيذاً لناموس ...

مثل هذا الإنسان يصلى ويقرأ ويتأمل ويحضر القداسات ويتناول وكل ذلك بلا روح، وبلا حب . كما قال الرب "هذا الشعب يكرمنى بشفتيه . أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً" (مت١٥: ٨) .

☩ ☩ ☩

هذه هى حياة الناموس ، وصايا بلا روح ، وتنفيذ بلا قلب .

هذا الناموس أراد المسيح أن يحررنا منه ، بالنعمة .

إنه يقول "إن فعلتم كل ما أمرتم به ، فقولوا إننا عبيد بطالون" (لو١٧: ١٠).

كل ما أمرتم به هو الناموس ، قد تنفذونه كعبيد، ولكن فى نفس الوقت تكونون بطالين ، إذا خلت نفوسكم من الحب والنعمة .

فهل أنتم عبيد أم بنون ، وهل تحبون أم تنفذون ؟

هل أنتم تحبون البر أم تخضعون لوصيته ؟

هل تحبون البر كطبيعة ، أم تدخلون فى صراع مرير بين

الخير والشر ؟

✠ ✠ ✠

لقد جاء المسيح يحررنا من هذا الخضوع اللاارادى للوصايا .

جاء ليغرس فينا حباً وروحاً، فلا نعيش بعد عبيداً للوصايا.

وصدق الرسول حينما قال: "إن حرركم الابن ، فبالحقيقة تكونون أحراراً" (يو٨: ٢٦) .

إن الذى يقيم نقاشاً حول بعض الأطعمة ، وهل تعتبر إفطاراً أم صياماً، هو لايزال فى الناموس .

لم يدخل بالنعمة فى روح الصوم، ولا فى الحب الإلهى ، تسيره أوامر ، وقوانين ومخاوف .

إن أقصى ما يصل إليه البر البشرى أو البر الذاتى ، هو انتصار الإنسان في حروب دائرة فيه بين الخير والشر، وهذا يدل على أنه فيه شهوتين تتصارعان إحداهما للخير والأخرى للشر .

ومادامت هناك الشهوة للشر، إذن فالقلب لم يتحرر بعد .

✠ ✠ ✠

الإنسان الذى يحيا فى النعمة ، يعيش فى محبة الخير .

الخير الذى صار له طبيعة أو طبعاً ، يعمله بلا صراع ، بلا حرب داخلية، بلا مجهود.

هذا قد وصل إلى حرية القلب .. قد تحرر قلبه من عبودية

العادات والشهوات والجسد والمادة .. لا توجد خطية تؤثر عليه ، ولا خطية تنتصر عليه ، ولا صراع داخله .

إنها حالة يسميها الآباء (عدم التألم) يصلى الإنسان لنوالها .

✠ ✠ ✠

فى عدم التألم ، لا توجد خطية تهز الإنسان من الداخل، ليضعف أمامها .. إنها الحالة التى قال عنها يوحنا الرسول :

"المولود من الله لا يخطئ ، والشرير لا يمسه" (١يو٥: ١٨).

هناك خطايا ، لا يستطيع الإنسان البار فعلاً أن يرتكبها . كالسرقة والحلفان، والقتل، والدجل.. وبالتالى كثير من الوصايا الأخرى .. هذا الإنسان قد تحرر .

نريد أن نرتفع فوق مستوى الناموس ، **وندخل بالنعمة إلى الحرية ، نريد أن نصلى ليل نهار: اعطنا يارب هذه الحرية.**

حرية القلب غير المستعبد، غير المنهزم، غير المقيد بمحبة الخطية ، ليس فى داخله اشتياق إليها. القلب الذى لا تتفق الخطية مع طبيعته" . إننا نحتاج إلى هذه النقاوة الداخلية، بمحبة الخير.

✠ ✠ ✠

لأن كثيرين يهتمون فى عبادتهم بالإنسان الخارجى وليس بالداخل .

يهتم الواحد منهم بالممارسات من صوم وصلاة ومطانيات

واجتماعات دينية وما إلى ذلك ، ويترك نقاوة القلب من الداخل . وتصبح حياته مجرد ممارسات كالتى انتقدها سفر أشعياء النبى (١: ١١: ١٦) .

لا تعيشوا عبيداً للنواميس والممارسات . وإنما اطلبوا من الرب أن يحرر قلوبكم بنعمته. وإن تحررتم ستسلكون فى جدة الحياة، وفى حرية مجد أولاد الله .

✠ ✠ ✠

وثقوا أنه إذا تحرر الإنسان الداخلى، سيسلك الإنسان فى عمق الروح ، بلا تعب .

وسيصلى ويصوم ويتأمل ، ويمارس كل الأمور الخارجية بطريقة روحية، يحب الله، وبحرارة وعمق ...

فاسأل نفسك : هل حررتك النعمة من الداخل أم لا؟ هل لا تزال عبداً للخطية؟ أم مازلت تصارعها؟ أم قد دخلت فى مذاقة الملكوت، ومذاقة عدم التألم كابن لله؟

✠ ✠ ✠

هل الخطية حروب خارجك؟ أم هى فى قلبك من الداخل؟

أم أن قلبك قد تحرر من سلطانها ، وتهيأ لسكنى الله ؟

هذا القلب النقى هو الذى يطلبه الرب قائلاً "يا ابنى اعطنى قلبك".. اعطنى قلبك، وافعل بعد ذلك ما تريد .. أريد هذا القلب ،

وغيره لا أريد شيئاً ، لست أريد البر الخارجى. إنما بر المسيح الذى من عمل الروح فيك.

قد يعجب إنسان باللمبات القوية وبالنجف وبكل الأجهزة الكهربائية العجيبة الموجودة فى المكان. ولكن المهم فى التيار .. بدون هذا التيار الكهربائى لا فائدة من جميع اللمبات القوية .

هذا التيار هو عمل النعمة فيك، عمل الروح القدس فى قلبك، وبدونه باطلة كل أعمالك. إن كنت تصلى، ولم تخرج صلاتك من هذا القلب، فباطلة هى صلاتك. وهكذا الوضع بالنسبة إلى أصوامك وتأملاتك ومطانياتك .

كلها نسميها (وسائط النعمة) ، أى الوسائط التى تعمل نعمة الرب عن طريقها ، لأجل خلاصك ، وتحريرك من خطاياك ...

✠ ✠ ✠

إن كان قلبك لم يصل بعد إلى الله ، فأنت مازالت تعيش فى الناموس وليس في النعمة. وكل طاعتك للوصايا ، تسمى حينئذ (بر الناموس) .

أما إن عملت نعمة المسيح فى قلبك، وسكبت فيه المحبة الإلهية من الروح القدس، حينئذ يكون لك بر المسيح .

اطلب من المسيح إذن أن يعطيك بره، أن يغسلك فتبيض أكثر

من الثلج، اطلب أن يحررك الابن ، حينئذ تفعل البر تلقائياً، حباً لله. وحباً للبر .. بلا جهاد ...

اطلب من الرب أن يعطيك محبة الخير، فيكون البر فيك طبيعة أو طبعاً .

وتصل إلى الوضع الذى لا تستطيع فيه أن تخطئ لأن الخطيئة لم تعد تتفق مع طبيعتك الجديدة ..

☩ ☩ ☩

عش فى النعمة ، فى محبة الله، وليس فى بحر واسع من الأوامر والنواهى، وليس فى ميدان من الصراعات بين الخير والشر...

قد جاء السيد المسيح ليعطيك هذه النعمة التى تغيرك وتبررك وتطهرك ، وتقدسك وتنميك فى محبة الله. وتسمو بك فى أجواء روحية فوق المادة والعالم . وهكذا ترفع مستواك ، فتصير فوق مستوى الخطية، وفوق قيود الوصية .

اطلبوا هذه النعمة بكل قواكم ، بكل قلوبكم وكل إرادتكم .

اطلبوا أن تحرركم هذه النعمة من كل رباطات العالم والمادة والشيطان ، وتعطيكم قلباً جديداً متحرراً من كل العادات والرغبات الخاطئة كما قال المرتل فى المزمور "قلباً نقياً اخلق فىّ يا الله،

وروحاً مستقيماً جدده فى أحشائى" (مز ٥٠) .

✠ ✠ ✠

ارتفعوا بالنعمة إلى فوق .. فوق الأوامر .. تفعلون البر كأبناء على صورة أبيهم فى القداسة والحق والنور، وليس كغرباء أو عبيد يؤمرون فيطيعون ..

ارتفعوا فوق العالم وعيشوا فى سماء دائمة ...

فهرس الكتاب

الباب الثامن :

الباب التاسع :



بسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد آمين



تقرأ فى هذا الكتاب

عن :

النعمة : ما هى ؟
وما عملها؟ ولماذا تعمل معنا؟ وما هى مستويات هذا العمل؟ وكيف تأتى؟ حتى دون أن نطلب.
وأنواع النعمة. ومدى تجاوبنا مع النعمة.
وفترات التخلى: لماذا؟ وما فائدة التخلى؟ ومعنى تقسية قلب فرعون .

البابا شنوده الثالث



قرشاً